جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

أصول دين – تفسير القرآن الكريم وعلومه

رسالة ماجستير بعنوان

النّكات البلاغيّة ودلالاتها في سورة الرّعد

دراسة تحليلية

لنيل درجة الماجستير في أصول الدين – تخصص تفسير القرآن الكريم وعلومه

Allegorical devices and their indictios in al rad verse

إعداد الباحث:

أحمد محيي الدين أحمد الخاروف

بإشراف:

فضيلة الدكتور عطية الأطرش

1442هـ-2021م

الإهداء

إلى روح والدتي الغالية رحمها الله تعالى...

إلى والدي العزيز أمده الله بالصحة والعافية...

إلى رفيقة دربي زوجي زينب...

أهدي هذا العمل!

الشكر

الحمد والشكر والفضل لله عز وجل على كرمه وتوفيقه وإحسانه، فهو المستحق لجميع المحامد، أنعم عليّ بنعم لا تعد ولا تحصى فسبحانه من مُعطٍ واهب وما أضعفني من شاكر.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى القائمين على جامعة الخليل وهيئة المحاضرين كل باسمه مع حفظ الألقاب وأخصُّ بالذّكر عُلماءَنا الأجلّاء في كليّة الشّريعة الإسلامية الذين تعلمنا منهم واكتسبنا أدوات الفهم وطرق الاستنباط جزاهم الله عنا كل خير وأمدهم بالصحة والعافية.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الدكتور عطية الأطرش، على صبره ورعايته لهذه الرسالة وعلى ما بذل من جهد ووقت ونصح؛ جزاه الله كل خير وأحسَن إليه وعفى عنه ورحم والديه.

فهرس المحتوى

المحتوى

الإهداء ..... **ب**

الشكر ..... **ج**

فهرس المحتوى ..... **د**

ملخص الدراسة ..... **ط**

Abstract ..... **ي**

المقدمة ..... **ك**

الفصل الأول: مقدمات في سورة الرّعد **2**

المبحث الأول: اسم السّورة، وما اشتهر لها من أسماء. **3**

المطلب الأول: تعريف بسورة الرّعد. 4

المطلب الثّاني: أسباب التّسمية. 4

المبحث الثّاني: موقع سورة الرعد في القرآن الكريم **6**

المطلب الأول: علاقة السّورة بما قبلها (سورة يوسف). 7

المطلب الثّاني: علاقة السّورة بما بعدها (سورة إبراهيم). 9

المبحث الثّالث: مكي السّورة ومدنيها **11**

المطلب الأول: الاختلاف بين المفسرين 12

المطلب الثّاني: مناسبة بداية السورة لخاتمتها وأبرز موضوعاتها 13

أبرز موضوعاتها 14

المبحث الرّابع: أسباب نزول السّورة، وأهدافها **16**

المطلب الأول: جو سورة الرّعد ومكان نزولها. 17

المطلب الثّاني: أسباب نزول سورة الرّعد. 17

المطلب الثّالث: أهداف السّورة. 19

الفصل الثّاني: تطبيقات علم المعاني ودلالاته في سورة الرّعد. **22**

تمهيد **23**

النّظم القرآني قمة البلاغة والإعجاز 23

تعريف علم المعاني: 26
تطور علم المعاني: 27
موضوع علم المعاني: 28
فائدة علم المعاني: 28
المبحث الأول: تطبيقات الخبر والإنشاء ودلالاتها في سورة الرّعد. 29
المطلب الأول: الجملة الخبرية في سورة الرّعد. 30
أضرب الخبر 32
المطلب الثّاني: الجملة الانشائية في سورة الرّعد. 40
أقسام الانشاء 40
أولًا: الأمر 40
ثانيًا: النّهي 43
ثالثًا: التّمني 44
رابعًا: الاستفهام 46
الإنكار 46
التّعجب 48
الهمزة 48
المبحث الثّاني: تطبيقات أسلوب التّقديم والتّأخير ودلالاته في سورة الرّعد. 50
التّمهيد: مفهوم التّقديم والتّأخير. 51
المطلب الأول: تقديم المسند إليه واعتباراته وأغراضه في سورة الرّعد 52
أولًا: التّشويق 52
ثانيًا: إفادة التّخصيص. 53
المبحث الثّالث: تطبيقات التّعريف والتّنكير ودلالاتها في سورة الرّعد. 57
المطلب الأول: أسلوب التّعريف ودلالته في سورة الرّعد. 58
المسند إليه المعرفة: 58
التّعريف بالضّمير 59
التّعريف باسم الإشارة 60
التّعريف بالاسم الموصول 62
التّعريف بـ (ال) 64
المطلب الثّاني: أسلوب التّنكير ودلالته في سورة الرّعد. 65

التّنكير للتنويع 66
التّقييد بشرط 66
المبحث الرّابع: تطبيقات الفصل والوصل ودلالاتها في سورة الرّعد. 68
المطلب الأول: أسلوب الفصل في سورة الرّعد. 69
تعريف الفصل والوصل 69
المطلب الثاني: مواطن الوصل في سورة الرعد: 75
المبحث الخامس: 78
المطلب الأول: الإيجاز ودلالته في سورة الرعد 79
الإيجاز 79
أولاً: إيجاز الحذف 79
ثانيا: إيجاز القصر 81
المطلب الثاني: الإطناب ودلالته في سورة الرعد 84
المبحث السادس: تطبيقات الذكر والحذف ودلالاتها في سورة الرّعد 85
المطلب الأول: أغراض ذكر المسند والمسند اليه ودلالاتها في سورة الرّعد. 86
أغراض ذكر المسند في سورة الرّعد 86
أغراض ذكر المسند إليه في سورة الرّعد 88
المطلب الثاني: أغراض الحذف. ودلالاتها في سورة الرّعد 90
المبحث السابع: التعبير بالأفعال ودلالاتها في سورة الرعد 92
تمهيد 93
المطلب الأول: تطبيقات التعبير بالفعل المضارع ودلالته في سورة الرعد 93
المطلب الثاني: التعبير في الجملة الإسمية ودلالاتها في سورة الرعد 95
الفصل الثّالث: تطبيقات علم البيان ودلالاتها في سورة الرّعد 96
المبحث الأول: علم البيان، تعريفه، وموضوعه وفائدته. 97
1. التعريف 97
موضوع علم البيان: 97
فائدة علم البيان: 97
المبحث الثّاني: التّشبيه في سورة الرّعد. 99
المطلب الأول: التّشبيه، تعريفه وأركانه. 100

أولًا: تعريف التّشبيه 100
ثانيًا: أركان التشبيه 100
ثالثًا: أغراض التشبيه 101
المبحث الثّالث: بلاغة المجاز ودلالاتها في سورة الرّعد. 108
المطلب الأول: المجاز، تعريفه وأقسامه. 109
أولًا: تعريف المجاز 109
ثانيًا: أقسام المجاز: 109
المطلب الثّاني: تطبيقات بلاغة المجاز ودلالاته في سورة الرّعد. 110
المبحث الرّابع: بلاغة الكناية ودلالاتها في سورة الرّعد. 113
المطلب الأول: الكناية، تعريفها، وأقسامها، والفرق بينها وبين المجاز 114
أولًا: تعريف الكناية: 114
ثانيًا: أقسام الكناية: 115
ثالثًا: الفرق بين الكناية والمجاز: 116
المطلب الثّاني: دلالات الكناية في سورة الرّعد. 117
المبحث الخامس: قضايا التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد. 120
المطلب الأول: مفهوم التّصوير الفنيّ 121
المطلب الثّاني: قضايا التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم 123
1) التخييل الحسي: 123
النوع الأول: تجسيم تمثيلي تشبيهي؛ 125
النوع الثاني: تجسيم تصييري تحويلي 125
2. الحياة الشاخصة 131
3. الحركة المتجددة 131
المطلب الثّالث: أسلوب التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد 132
الفصل الرّابع: تطبيقات المحسنات البديعيّة في سورة الرّعد. 137
المبحث الأول: علم البديع، تعريفه، وتطوره. 138
وفيه مطلبين: 138
المطلب الأول: علم البديع لغة واصطلاحاً 138
المطلب الثاني: تطور علم البديع 138

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية وتطبيقاتها في سورة الرّعد. 140

تمهيد 141

المطلب الأول: الجناس تعريفه أقسامه وتطبيقاته في سورة الرعد 141

أولًا: الجناس: 141

المطلب الثاني: الفواصل القرآنية وتطبيقاتها في سورة الرعد 144

الفاصلة معناها والفرق بينها وبين السجع: 144

تطبيقات الفواصل في سورة الرعد: 145

المبحث الثّالث: المحسنات المعنويّة وتطبيقاتها في سورة الرّعد. 147

أولًا: الطباق: 148

الطّباق في سورة الرّعد. 149

ثانيًا: المقابلة: 152

2- الفرق بين الطباق والمقابلة 152

تطبيقات المقابلة في سورة الرعد 152

ثالثا: الاحتراس 154

رابعا: التقسيم 155

الخاتمة 157

نتائج البحث 158

التوصيات: 159

فهرس المراجع 160

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

هذا البحث جاء بعنوان " **النّكات البلاغيّة ودلالاتها في سورة الرّعد**" مقدم من الباحث: أحمد محيي الدين الخاروف استكمالا لنيل درجة الماجستير في أصول الدين – تفسير القرآن الكريم وعلومه – راجياً من الله التوفيق والسداد.

ويهدف هذا البحث، للكشف عن الأسرار البلاغية ودلالاتها في سورة الرعد لدى المفسرين؛ وإبراز ما يتمخّض عنها من معانٍ ودلالات.

وتبرز أهمية البحث، من خلال جمع الدلالات البيانية في سورة الرعد، واستقرائها عند المفسرين العلماء!

ويتألف هذا البحث من مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة:

ففي الفصل الأول، كان الحديث عن: التعريف بسورة الرعد وموقعها في القرآن الكريم، ومقاصدها وأسباب نزولها.

وفي الفصل الثاني؛ تناول الباحث التعريف بعلم المعاني وتطبيقاته في خمس مباحث؛ حيث بين من خلال التطبيقات أسلوب الخبر والانشاء، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والحذف والذكر.

وفي الفصل الثالث؛ تطرق الباحث إلى علم البيان ودلالته في سورة الرعد، من خلال أربعة مباحث أظهر فيها بلاغة التشبيه والمجاز، والكناية ودلاتها في سورة الرعد، وأفرد مبحثاً للتصوير الفنّي في القرآن الكريم.

وفي الفصل الرابع تطرق الباحث؛ إلى إبراز المحسّنات البديعيّة في سورة الرعد، من خلال تطبيقات المحسّنات اللّفظية والمحسنات المعنوية. وختم الرسالة بأبرز النتائج التي وصل إليها! ومن أهمها: الكشف عن مظاهر الإعجاز البياني في سورة الرَّعد كما جاء عند المفسّرين من قدامى ومحدثين.

Abstract

Study title: **"Allegorical devices and their indications in al raʼd verse"**

Submitted by: Ahmad Muhyi AlDen Ahmad AlKharof toward completing a thesis in Religious Foundations – Interpretation of the Noble Koran and its Sciences – Hoping for success and a blessing from God.

The aim of the study is to discover the rhetorical secrets of the Al Ra'd surah and their implications as found by commentators while emphasizing their meanings.

The importance of the study is highlighted through the compilation of graphic evidence in the Al Ra'd surah and the conclusions reached by the erudite scholars!

The study consists of an introduction, four chapters and a conclusion:

Chapter I: Introducing the Al Ra'd surah and its location in the noble Koran, its objectives and reasons of revelation.

Chapter II: The researcher defines science and the meaning of its implementation through five sections, where implementation includes the definition of statement, definition of origination, anastrophe, identity and denial, asyndeton and polysyndeton, omission and reference.

Chapter III: The science of declaration and its meaning in the Al Ra'd surah, through four studies by which he presented the rhetoric of eloquence and metaphor, the metaphor and connotations in the Al Ra'd surah while dedicating research to the artistic depiction in the holy Koran.

Chapter IV: The researcher addressed the embellishments of the Al R'ad surah using verbal and moral embellishments. The study was concluded with a presentation of the results that were achieved. The most important being the revelation of the rhetorical miracles of the Al Ra'd surah as presented by ancient and modern commentators.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الّذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة والسّلام على نبيه الكريم، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، الّذي بيّن لنا آي الذّكر الحكيم، كما علّمه ربّ العالمين، القائل في مُحكم التّنزيل **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[1].

كما أنّ الله تعالى، جعل لكلّ أمّة لُغة، تتفاهم بها وتعبّر بها عن مقاصدها، قال تعالى **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)**[2].

أمّا بعد ...

فهذه مقدمة الرسالة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين – تفسير القرآن الكريم وعلومه، راجيًا من الله التوفيق والسداد.

وهي **بعنوان:**

"النّكات البلاغيّة ودلالاتها في سورة الرّعد – دراسة تحليلية "

موضوع البحث:

إبراز النّكات البلاغية، في سورة الرعد، من خلال تطبيقات العلوم البلاغية الثلاثة: علم المعاني والبيان والبديع، وإبراز ما يتمخض عنها من معانٍ ودلالات.

أهداف البحث:

1) التعريف بسورة الرعد من حيث موضوعاتها وأهدافها وكل ما يتعلق بها.
2) الدراسة الموجزة لمراحل تطور البلاغة القرآنية من الناحية التاريخية.
3) الكشف عن موضوعات علم المعاني وتطبيقاتها ودلالاتها في سورة الرعد
4) الكشف عن موضوعات علم البيان وتطبيقاتها ودلالاتها في سورة الرعد
5) التعريف بأشهر المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية وتطبيقاتها في سورة الرعد.
6) التعريف بقضايا التصوير الفني وإبراز أهم تطبيقاتها في سورة الرعد.

---

(1) سورة النحل (الآية44).

(2) سورة إبراهيم (الآية 4).

حدود البحث:

اقتصر هذا البحث على النكات البلاغية والصور الفنية في سورة الرعد من خلال تطبيقات علم المعاني وعلم البديع وعلم البيان والصور الفنية في السورة.

دراسات سابقة:

لم أقف على من تناول هذه السورة، بدراسة مستقلة، سوى ما وقع عند المفسرين، من القدامى والمحدثين بشكل عام.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأمور التالية:

1) ان الدراسة البلاغية لسورة كاملة من سور القرآن، عمل يجمع علوم البلاغة من الناحية التطبيقية العملية.
2) ترغيب الدارسين وطلاب العلم وعوام الناس، في الاهتمام باللغة والحرص على تعلمها وإتقانها، لما في هذا العلم من تبيان لمعاني القران الكريم.
3) إبراز التطبيقات البلاغية في سورة الرعد وما فيها من صور فنية.
4) اسهام هذا البحث في فهم جانب هام من تطبيقات البلاغة القرآنية في سورة الرعد.

أسباب اختيار البحث:

1) الوقوف على التطبيقات البلاغية ودلالاتها في سورة الرعد، كونها من السور المثاني؛ حيث يسهل تناولها في هذا البحث.
2) إبراز الإعجاز البياني في القرآن الكريم، من أجل الوصول لتفسير أمثل لآيات القران الكريم.

منهج البحث:

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث، فقد استخدمت المنهج الاستقرائي والوصفي وفق الخطوات والإجراءات التالية:

- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواقعها بذكر السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار من مظانّها الأصلية.

- الرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة المعتمدة في مجالها، لأخذ المادة العلمية منها.
- الرجوع إلى المعاجم اللغوية لبيان معاني المصطلحات التي تحتاج إلى توضيح.
- ترجمة مختصرة للشخصيات الواردة في البحث.
- إثبات النتائج والتوصيات.
- إثبات قائمة المصادر في نهاية البحث.
- إثبات فهارس الأحاديث، والأعلام، إضافة للفهرس العام.

محتوى البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

في المقدمة بينت عنوان البحث وأهميته وأسباب اختياره وأهدافه وحدوده؛ والدراسات السابقة ومنهج البحث ومحتواه.

الفصل الأول: مقدمات في سورة الرّعد

المبحث الأول: اسم السّورة الكريمة، وما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثاني: موقعها في القرآن الكريم، السّورة الّتي قبلها وبعدها.

المبحث الثّالث: مكي السّورة ومدنيها

المبحث الرّابع: أسباب نزول السّورة، وأهدافها

الفصل الثّاني: تطبيقات علم المعاني ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الأول: تطبيقات الخبر والإنشاء ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّاني: تطبيقات أسلوب التّقديم والتّأخير ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: تطبيقات التّعريف والتّنكير ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الرّابع: تطبيقات الفصل والوصل ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الخامس: أسلوب الإيجاز والإطناب ودلالاتها في سورة الرّعد

المبحث السادس: تطبيقات الذكر والحذف ودلالاتها في سورة الرّعد

المبحث السابع: التعبير بالأفعال ودلالاتها في سورة الرعد

الفصل الثّالث: تطبيقات علم البيان ودلالاتها في سورة الرّعد

المبحث الأول: علم البيان، تعريفه، وموضوعه وفائدته.

المبحث الثّاني: بلاغة التّشبيه ودلالتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: بلاغة المجاز ودلالاتها في سورة الرّعد

المبحث الرّابع: بلاغة الكناية ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الخامس: قضايا التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد.

الفصل الرّابع: تطبيقات المحسنات البديعيّة في سورة الرّعد.

المبحث الأول: علم البديع، تعريفه، وتطوره.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: المحسنات المعنويّة وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

ثمَّ الخاتمة وتحتوي على نتائج البحث والتوصيات وفهرس الاعلام.

وأخيرا،

أي عمل انساني يعتريه نقص وخلل، وهذا جهد مقل واجتهدت بما منحني الله من نعمة الفهم فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

سائلا المولى عز وجل، أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه لكريم!

الفصل الأول: مقدمات في سورة الرّعد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم السّورة الكريمة، وما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثاني: موقعها في القرآن الكريم، السّورة الّتي قبلها وبعدها.

المبحث الثّالث: مكيّ السّورة ومدنيها

المبحث الرّابع: أسباب نزول السّورة، وأهدافها.

المبحث الأول: اسم السّورة، وما اشتهر لها من أسماء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بسورة الرّعد.

المطلب الثّاني: أسبـــاب التّسمية.

المطلب الأول: تعريف بسورة الرّعد.

تُعدُّ سورة الرّعد واحدة من السّور المثاني [3]، وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية، نزلت بعد سورة محمد ﷺ، وتبدأ بالحروف المقطعة (المر) وتقع في الجزء الثّالث عشر من القرآن الكريم [4].

وسميت بسورة الرّعد منذ العهد النّبويّ وعهد السّلف الصّالح؛ وذلك لورود اسم الرّعد فيها، ولم يرد لها اسم آخر، ويؤكد "ابن عاشور [5]" على هذه التّسمية بقوله: "هكذا سُمّيت من عهد السّلف، وذلك يدل على أنّها مُسماة بذلك من عهد النّبيّ ﷺ"[6]، وهذا ما يقودنا للقول بأنّ تسمية سورة الرّعد بهذا الاسم هي توقيفية لا توفيقية.

المطلب الثّاني: أسباب التّسمية.

جاء في ذكر أسباب تسمية هذه السّورة الكريمة بهذا الاسم؛ نظرًا "للكلام فيها عن الرّعد والبرق والصّواعق وإنزال المطر من السّحاب وما فيه من خير وشر [7].

وسميت به لما فيها من قوله عز وجل: ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [8].

حيث قال تعالى: (**فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ**) أي الصواعق ويصرفها عمَّن يشاء. والله أعلم

---

(3) المثاني: "ما ولي المئين وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، لأن الأنباء والقصص تثنى فيه"(ينظر: البرهان، للزركشي:245/1)

(4) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) التفسير الوسيط للواحدي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:01، 1415 هـ - 1994 م، (3/3).

(5) محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، أيار / مايو 2002 م. (6 / 174).

(6) محمد الطّاهر بن محمد بن محمد بن عاشور التّونسي (ت 1393هـ)، التّحرير والتّنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدّار التّونسية للنشر، تونس، 1984م، (75/13).

(7) وهبة بن مصطفى الزّحيلي، التّفسير المنير في الشّريعة والعقيدة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، (13/ 96).

(8) محمد جمال الدّين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، محاسن التّأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، (6 /253).

ويؤكد "الصّابونيّ[9]" بقوله: "سُمّيت بالرّعد لتلك الظّاهرة الكونية العجيبة الّتي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه كما في الماء الّذي جعله الله سبب الحياة، وأنزله بقدرته من السّحاب، والسّحاب جمع الله فيه بين الرّحمة والعذاب، فهو يحمل المطر ويحمل الصّواعق، وفي الماء الإحياء، وفي الصّواعق الإفناء، وجمع بين النّقيضين من أسرار قدرته، هذا السّحاب به ماء وبه نار، فما أجمل وأعظم قدرة الله"[10].

وأضاف "ابن عاشور" سببًا آخر في تسمية السّورة بهذا الاسم فضلًا عن ذكر لفظ (الرّعد) أنّ هذه اللّفظة لم تكن لتذكر قبل هذه السّورة في السّور المكّية، حيث قال: "سميت بالرّعد؛ لأنّ الرّعد لم يُذكر في سورة قبل هذه السّورة، فإنّ هذه السّورة مكّية كلّها أو معظمها، وإنّما ذُكر الرّعد في سورة البقرة وهي نزلت بالمدينة"[11].

---

(9) محمد علي الصابوني، ولد بمدينة حلب الشهباء بسوريا عام 1930م، من أسره عريقة، وكان والده من كبار علماء حلب، تلقى الشيخ الصابوني تعليمه على يد والده وغيره من العلماء فقام بدراسة العربية والفرائض وعلوم الدين، كما حفظ القرآن الكريم، بعد أن حصل الصابوني على درجة العالمية من الأزهر الشريف عاد مرة أخرى إلى سوريا تفرغ بعد ذلك الشيخ الصابوني للتأليف والبحث العلمي فقام بتأليف العديد من الكتب في عدد من العلوم الشرعية والعربية، وقد تم ترجمة مؤلفاته لعدد من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية، نذكر من هذه المؤلفات ما يلي: صفوة التفاسير، مختصر تفسير ابن كثير، التفسير الواضح الميسر، وغيرها. ترجمته في تحقيق كتابه: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط:03، 1400 هـ - 1980م (10/1). أذكر هنا أن الشيخ محمد علي الصابوني ؛ انتُقد على مؤلفاته وقد ذكر وانتقد أخطاءه، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ) في كتابه: (كتاب التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير وهو ضمن كتابه الكبير " الردود ،طبعة 2005/8/12 ، الناشر: دار العاصمة) وغيره من العلماء مثل :كتاب "تنبيهات هامة على كتاب " صفوة التفاسير ، للشيخ محمد جميل زينو. وكتاب "ملاحظات على كتاب " صفوة التفاسير " " للشيخ سعد ظلاَّم – عميد كلية اللغة العربية في مصر"، وكتاب "ملاحظات على صفوة التفاسير " للشيخ عبد الله بن جبرين"وكتاب "ملاحظات عامة على كتاب " صفوة التفاسير " " للشيخ صالح الفوزان كما بين منهجه في البلاغة الأستاذ: علي زواري أحمد ، جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي، بمقاله " قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير حيث قال:"... قد جعل الصابوني الجانب البلاغي من العناصر التي اشتمل عليها منهجه في تفسيره الآيات ، حيث خصص له حيزا في كل مقطع يقوم بتفسيره من أول الكتاب إلى آخره ، وبهذا يكون قد أفرده بالذكر بخلاف اغلب المفسرين فإنك تجد الفنون البلاغية محشورة في طيات التفسير مع الأقوال واللغويات واللطائف وغيرها...فهو يعرض البلاغة في نهاية الكلام عن كل مقطع من الآيات التي تتحدث ، يستخرج الفنون البلاغية متتالية حسب ترتيب الآيات التي يقوم بتفسيرها في كل مقطع، وتنوع في طريقة عرض الفن البلاغي فهو يذكر الفن البلاغي أولا ثم يتبعه بالمثال من الآيات التي يفسرها"(قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير،(ص 6)

(10) محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الصّابوني للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط:01، 1417 هـ - 1997 م، (2 / 72).

(11) التّحرير والتّنوير، (75/13).

المبحث الثّاني: موقع سورة الرعد في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة السّورة بما قبلها (سورة يوسف).

المطلب الثّاني: علاقة السّورة بما بعدها (سورة إبراهيم).

المطلب الأول: علاقة السّورة بما قبلها (سورة يوسف).

جاءت سورة الرّعد مناسبة لما قبلها وهي سورة يوسف (عليه السلام) من حيث الموضوع والمقاصد فقد فصّلت سورة الرّعد ما أجملته آخر سورة يوسف، وهذا ما ذكره الألوسيّ [12]، حيث قال: " ووجه مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه قال فيما تقدم:﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ**﴾ [13] فأجمل سبحانه الآيات السماوية والأرضية ثم فصل جل شأنه ذلك هنا أتم تفصيل."[14].

ويقول المراغيّ [15]: "ذلك أتمّ تفصيل في مطلع سورة الرّعد [16]؛ لمجمل خاتمة سورة يوسف –عليه السّلام– فذكر الآيات السّماوية والأرضية حيث قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ [17].

وفي سورة الرّعد بيان لآي السّماوات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ**﴾ [18].

---

(12) الآلُوسي الكَبير (1217 – 1270 هـ = 1802 – 1854 م) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. (الأعلام للزركلي :7 / 176).

(2) سورة يوسف، (الآية 105)

(14) شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1415هـ، (80/7).

(15) المراغي (000 – 1371 هـ = 000 – 1952 م) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. (الأعلام للزركلي :1 / 258).

(16) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ- 1946م، (13/ 60).

(17) سورة يوسف، (الآيات 105-107).

(18) سورة الرّعد، (الآية 2).

وفي بيان آي الأرض في سورة الرّعد قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ (19).

وأشار الله تعالى إلى أدلة التّوحيد في سورة يوسف حيث يقول: ﴿**يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ (20) وجاء تفصيل أدلّة التّوحيد في سورة الرّعد، وذكر من الآيات ما لم يذكر في سالفها (21)، "وهذا امتداد لدعوة التّوحيد، وذكر كثير من صفات الله تعالى (22)".

وجاء في السّورتين من آيات الله ما فيه تسلية للرسول ﷺ حيث ذكر ذلك المراغي في تفسيره وقال:" إنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفى ذلك تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلّم وتثبيت لقلبه". (23)

كما ورد في خاتمة سورة يوسف بيان حقيقة القرآن، وأنّه هدى ورحمة لكلّ المؤمنين (24) في قوله تعالى: ﴿**لَقَد كانَ في قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبابِ ما كانَ حَديثًا يُفتَرى وَلكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ**﴾ (25).وافتتحت سورة الرّعد بالحديث عن القرآن، حيث قال تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾(26) وهو من تشابه الأطراف(27).

---

(19) سورة الرّعد، (الآية 3).

(20) سورة يوسف، (الآية 39).

(21) تفسير المراغي، سبق ذكره (60/13). بتصرف

(22) محمد محمود حجازي، التّفسير الواضح، ط10، دار الجيل الجديد – بيروت، 1413 هـ (2/ 212).

(23) تفسير المراغي، سبق ذكره (60/13)

(24) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتّوزيع، د. ت (97/1). بتصرف

(25) سورة يوسف، (الآية 111).

(26) سورة الرّعد، (الآية 1).

(27) "تشابه الاطراف: قسمان – معنوي ولفظي: فالمعنوي: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى؛ واللفظي نوعان – =

وذكر البقاعي في نظم الدر "أن هذا من أسلوب اللف والنشر[28] حيث قال:" لما ختم التي قبلها بالدّليل على حقيّة القرآن وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون، بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السماوات والأرض مع الإعراض، ابتدأ هذه بذلك على طريق اللف والنشر المشوش لأنه أفصح للبداءة في نشره بالأقرب فالأقرب."[29]

وبعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السّماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِن آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ يَمُرّونَ عَلَيها وَهُم عَنها مُعرِضونَ**﴾ [30]، مع الإعراض عنها [31] بدأت سورة الرّعد بذلك حيث قال تعالى: ﴿**المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[32].

المطلب الثّاني: علاقة السّورة بما بعدها (سورة إبراهيم).

لما ختمت سورة الرّعد بأنّه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[33]، أشار تعالى في سورة إبراهيم إلى أنّ الكتاب هو الشّاهد بإعجازه وبلاغته وما

=الأول – أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ بها المصراع الثاني، أو الجملة التالي، الثاني – أن يعيد الناظم: لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه". (ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (321/1) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت)

(28) ويسميه بعض البديعيين "الطي والنشر": وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.وهذا يعني أن تذكر شيئين فصاعدا إما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به من غير حاجة إلى أن تنص أنت على ذلك.(علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان(175/1)

(29) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ) ج:22، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت، (262/10)

(30) سورة يوسف، (الآية 105).

(31) محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلوي الهرري الشّافعي، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن، تحقيق: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النّجاة، بيروت، 1421هـ- 2001م، (14/ 156).

(32) سورة الرّعد، (الآية 1).

(33) سورة الرّعد، (الآية 43).

حوى من فنون العلوم[34] حيث يقول: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[35].

فتلك الشّهادة تدل على أنّه سبحانه أظهر المعجزات الدّالة على كونه صادقًا، وهذه أعلى مراتب الشّهادة؛ لأنّ الشّهادة قول يفيد غلبة الظّنّ بأنّ الأمر كذلك، أمّا المعجز فإنّه فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولًا من عند الله تعالى، فكان إظهار المعجزة أعظم مراتب الشّهادة في معانيه [36].

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط [37]:" وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جدا، لأنه ذكر فيها: ﴿**ولو أن قرآنا**﴾ ثم﴿ **وكذلك أنزلناه حكما عربيا**﴾ ثم ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ فناسب هذا قوله ﴿**الر كتاب أنزلناه إليك**﴾. وأيضا فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح ﴿**لولا أنزل عليه آية من ربه**﴾ وقيل له: **قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب**﴾ أنزل﴿ **الر كتاب أنزلناه إليك**﴾ كأنه قيل: أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات هي –الضلال–، إلى النور وهو –الهدى–".

---

(34) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د. ت، (10/ 368). بتصرف

(35) سورة إبراهيم، الآية (1).

(36) الإمام محمد بن العلامة ضياء الدّين عمر الرّازي، تفسير الفخر الرّازي المشهور بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1 1401هـ- 1981م، (19/ 54). بتصرف

(37) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ(405/6)

المبحث الثّالث: مكي السّورة ومدنيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاختلاف بين المفسرين.

المطلب الثّاني: مناسبة بداية السورة لخاتمتها وأبرز موضوعاتها

المطلب الأول: الاختلاف بين المفسرين

سورة الرّعد من السّور الّتي اختلف فيها المفسرون في مكيّها ومدنيها اختلافًا واضحًا، فالمتأمل في كتب التّفسير يُلاحظ الاختلاف قديمًا وحديثًا بينهم، إلا أنّ بعض المفسرين ذهب للجزم بمكيّها كلّها، وبعضهم استثنى آيات من مكيّها، والبعض الآخر جزم بمدنيّها كلّها، وكذلك استثنى بعضهم من مدنيها بعض الآيات.

واعتبرها الإمام البيضاوي [38] – رحمه الله – مدنية [39]، وجمع بعض المفسرين بين القولين – مكية ومدنية – أمثال: مقاتل [40] في تفسيره [41]، والعز بن عبد السّلام [42] في تفسيره [43].

وذهب صاحب كتاب "التّفسير الحديث" إلى القول بأنّها مدنية، فيقول: "وقد رجحنا مدنيها، وجاءت سورة الرّعد في المصحف في سلسلة من السّور المدنية الّتي تبدأ بحروف متقطعة مماثلة لما بدت به سورة "يونس" و"هود" و"يوسف" و"إبراهيم" و"الحجر"،

---

(38) البَيْضاوي، (000 – 685 هـ) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشّيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدّين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس – قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. الأعلام للزركلي (4/ 110)

(39) انظر: ناصر الدّين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، د.ت، (3/180).

(40) مقاتل بن سليمان البلخي، صاحب التفسير. روى عن الضحاك بن مزاحم وعطاء؛ وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 01، 1410 هـ – 1990م (7 / 263).

(41) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته (2 / 167).

(42) ابن عبد السَّلام، (577 – 660 هـ = 1181 – 1262 م) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة 599 هـ فأقام شهرًا، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، من كتبه " التفسير الكبير" وغيره. الأعلام للزركلي (4 / 21).

(43) انظر: العز بن عبد السّلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، دار ابن حزم للنشر، بيروت، 1416هـ- 1996م، (2 / 134).

غير أنّ ما احتوته من تقريرات وتنبيهات وأمثال وصور مماثلة لما في السّور المكية كذلك [44]".

أمّا "ابن عاشور" فيقول: "الّذين قالوا هي مكية لم يذكروا موقعها من ترتيب المكّيات، سوى أنّهم ذكروها بعد سورة "يوسف"، وذكروا بعدها سورة "إبراهيم"، والّذين جعلوها مدنية عدوها في النّزول بعد سورة "القتال" وقبل سورة "الرّحمن" وعدوها سابعة وتسعين في عداد النّزول"[45].

ويذهب صاحب كتاب "التّفسير القرآنيّ" إلى القول: "والرّاجح عندنا أنّها مكية، وذلك؛ لنظمها الّذي يبدو عليه الطّابع المكّيّ، ولمضامين آياتها الّتي تعرض آيات الله الدّالة على قدرته فيما أبدع وصوّر في هذا الوجود، وذلك هو الغالب على القرآن المكيّ [46]". وجاء في تفسير السمعاني – رحمه الله – " تفسير سورة الرعد، وهي مكية إلا آيتين: قوله تعالى: ﴿**وَلَا يزَال الَّذين كفرُوا تصيبهم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَيَقُول الَّذين كفرُوا لست مُرْسلًا**﴾ الآية، فإنهما مدنيتان [47]".

المطلب الثّاني: مناسبة بداية السورة لخاتمتها وأبرز موضوعاتها

مناسبة بداية السورة لخاتمتها ما يلي:

جاءت بداية سورة الرّعد في قوله تعالى: ﴿**المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[48] وختمت السّورة بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا**

(44) دروزة محمد عزت، التّفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383 هـ، د.ت، (1/ 20).

(45) التّحرير والتّنوير، (12/ 134).

(46) عبد الكريم يونس الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت، (7/ 63).

(47) أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ) تفسير القرآن، (تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم)، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: 01، 1418هـ- 1997م (3 / 75).

(48) سورة الرّعد، (الآية 1).

أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[49]، وهذا يدل دلالة واضحة على مناسبة بداية السّورة لخاتمتها.حيث إنّ سورة الرّعد هي أساس إثبات صدق الرّسول ﷺ فيما أوحي إليه وأخبر به، وهي: إفراد الله تعالى بالألوهية والبعث، وإبطال أقوال المكذبين الّتي تكررت في خمسة مواضع، وتوزعت في بداية السّورة ونهايتها. وتحدثت بداية السورة عن موقف المشركين من النّزول، وفي خاتمة السّورة ربطت بين المؤمنين والمشركين ومن يشبههم من أصحاب الاتجاه المنحرف أمثال: اليهود والنّصارى والمجوس الّذين سماهم النّص القرآنيّ بالأحزاب في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾ [50]. ولَمَّا أفصح الذين كفروا بما أبطنوا ونطقوا بصريح التكذيب وخرجوا من طور المكر الى طور المجاهرة في الكفر فقالوا (**لَسْتَ مُرْسَلاً**) أمر الرسول ﷺ بأن يجيبهم جواب الواثق بصدقه المستشهد على ذلك بشهادة الصدق من إشهاد الله تعالى وإشهاد العالمين بالكتب والشرائع. [51]

أبرز موضوعاتها ما يلي:

1) الإشارةُ إلى القُرآنِ الكريمِ وكَونِه حَقًّا مِن عندِ الله تعالى حيث افتتحت السورة بقوله تعالى (**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**) [52] والمشار إليه ب تلك هو ما سبق نزوله من القرآن قبل هذه الآية"[53]

2) تميّزت سورة الرعد بوجود التّقابل الفنيّ فيها بكثرة بين عدد من الأشياء، ومن ذلك: التّقابل بين السّماوات والأرض، بين سجود من فيهن طوعًا وكرهًا، وبين الغدو والأصال، حيث قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[54].

---

(49) سورة الرّعد، (الآية 36).

(50)سورة الرعد، (الآية 36)

(51) ينظر: التّحرير والتّنوير، (13/ 76). بتصرف

(52) سورة الرعد، (الآية 1)

(53) التحرير والتنوير، (78/13)

(54) سورة الرّعد، (الآية 15).

3) بيّنت سورة الرّعد أنّ كلّ من لا يستجيب للحق الّذي جاء به القرآن الكريم لا يستوي في عرف كلّ عاقل، فالأعمى لا يستوي مع البصير، والظّلمات لا تستوي مع النّور، كذلك الكفر لا يستوي مع الإيمان، فالكفر والشّرك هو انطماس في البصيرة، وظلمات في القلب، أمّا الإيمان فهو نور في القلب وإشراق في النّفس[55].قال تعالى ﴿**قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ قُل أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلا ضَرًّا قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ أَم جَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقوا كَخَلقِهِ فَتَشابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ**﴾[56]

4) ذكرت سورة الرّعد أنّ الله – سبحانه وتعالى– يهدي من ينيب، ومن يستمع القول فيتبع أحسنه أي: كلّ من حسنت نيته وصدقت رغبته في هدى الله تعالى [57] قال تعالى.﴿**قُل إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي إِلَيهِ مَن أَنابَ**﴾ [58]

وأخيرًا: وضّحت السّورة الكريمة أنّ المنهج القرآنيّ في الدّعوة يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلو، وبين ما في الكون المفتوح من دلائل شاهدة بسلطان الله تعالى وتقديره وتدبيره في الكون، وكذلك سجل التّاريخ البشريّ، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسّلطان، ويواجه البشرية بهذا كلّه وهو يخاطب حسها وقلبها وعقلها جميعًا [59].

(55) انظر: محمد سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ت (5 / 463).

(56) سورة الرعد، (الآية 16)

(57) محمد عزة دروزة (ت 1404هـ)، التّفسير الحديث ترتيب السّور حسب النّزول، دار الغرب الإسلامي، ط:02، 1421هـ-2000م، (5 / 531).

(58) سورة الرعد، (الآية 27)

(59) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-القاهرة، ط:26، (ج:6)،1418هـ-1997م، (4 / 2068).

المبحث الرّابع: أسباب نزول السّورة، وأهدافها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جو سورة الرّعد ومكان نزولها.

المطلب الثّاني: أسباب نزول سورة الرّعد.

المطلب الثّالث: أهداف السّورة.

المطلب الأول: جو سورة الرّعد ومكان نزولها.

يقول صاحب الظّلال: "نزلت –سورة الرّعد– في فترة اشتد فيها الإعراض والتّكذيب والتّحدي من المشركين، وهي الفترة الّتي لقي فيها الرّسول ﷺ ما لقي من أذى المشركين وعنتهم وطغيانهم، كما كثر فيها طلب الخوارق من رسول الله ﷺ واستعجال العذاب الّذي ينذرهم به... (60)".

وهذا يظهر جليًا لمن يقرأ السّورة بعمق، فهي تتوعد المشركين بالعذاب الأليم في الدّنيا والآخرة، كما تتوعد بالنّعيم للمؤمنين الصّالحين.

وقد تقدم ذكر ما يتعلق بجوها ومكان نزولها واختلاف المفسرين في مكيها ومدنيها، آنفا.

المطلب الثّاني: أسباب نزول سورة الرّعد.

وفي أسباب النّزول وردَتْ روايات عدّة، وأسباب النّزول في الآيات القرآنية مختلفة باختلاف الآية وحادثة نزول هذه الآية، وفيما يخصُّ هذه السّورة تحديدًا، فمِمَّا وردَ في سبب نزولها ما أورده الواحدي(**61**) – رحمه الله – في كتابه(62)، فيقول: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً رَجُلًا إِلَى رَجُلٍ مِنْ فَرَاعِنَةِ الْعَرَبِ: أَنِ ادْعُهُ لِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "اذْهَبْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ" قَالَ: فَأَتَاهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَدْعُوكَ"، قَالَ: أَرَسُولُ اللهِ؟ وَمَا اللهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا قَالَ، قَالَ: "فَارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ" فَرَجَعَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَقَالَةَ الْأُولَى، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْجَوَابِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ،

(60) انظر: في ظلال القران، سبق ذكره (2066/4).

(61) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي المتوي صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم، منها " البسيط " في تفسير القرآن الكريم، وكذلك " الوسيط " وكذلك " الوجيز ". أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت (3 / 303).

(62) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط1، 1411هـ، دار الكتب العلمية – بيروت (277/1)

فَقَالَ: "ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ" فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَرَاجَعَانِ الْكَلَامَ بَيْنَهُمَا إِذْ بَعَثَ اللهُ سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ وَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ (سورة الرّعد: 13)[63]"

هذه الرّواية لا يُعقل أن تكون سبب نزول للآية الكريمة، وذلك لضعفها ولكون الآية مكيّة تنسجم مع واحد من الموضوعات العامّة للسّورة الكريمة؛ وهو عَرض الآيات الكونيّة في مطلع السورة ووسطها، مع أن أصل هذا الحديث يمكن أن يَرِد في السّيرة؛ ولكن في أحداث العهد المدني من غير أن يكون سبباً لنزول الآية الكريمة، وذلك في قصة عامر الطفيل [64] وهذا ما يفهم من الروايات الأخرى.

وذكر السّمرقندي[65] والثّعالبي[66] والقرطبي[67] عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ**﴾[68] قَالَوا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ:" اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَالْمُشْرِكُونَ: مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا صَاحِبَ الْيَمَامَةِ، يَعْنُونَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ، اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، وَهَكَذَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ:" اكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" فَقَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: لَئِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلْنَاكَ وَصَدَدْنَاكَ

---

(63) أخرجه النّسائي في السّنن الكبرى، كتاب: التّفسير، باب: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة الرّعد: 13)، برقم (11195) (137/10) والحديث: صحيح المتن، ضعيف الإسناد، ضعيف الإسناد لضعف علي بن أبي سارة الشّيباني، قال الحافظ في التّقريب: ضعيف (تقريب 2/ 37) وله ترجمة في المجروحين لابن حبان (2/ 104) ولكن للحديث طريق حسن فقد أخرجه أبو يعلى (6/ 87- 88) وابن أبي عاصم في السّنة (1/ 304) من طريق ديلم بن غزوان وهو ثقة، وذكره الهيثمي في مجمع الزّوائد (7/ 42) وابن جرير في تفسيره (13/ 84) ، أنظر: أسباب النّزول، للواحدي (ت: 468هـ) (1\277)

(64) صفي الرحمن المباركفوري (ت: 1427هـ)، الرحيق المختوم، ط:01، دار الهلال – بيروت، د.ت، (267/1)

(65) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي (ت: 373هـ)، بحر العلوم، د.ت، (2 / 227).

(66) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثّعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير السّاعدي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت – لبنان، ط: 01، 1422، هـ - 2002 م، (5 / 291).

(67) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:02، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة، (9 / 318):

(68) سورة الرعد، (الآية 30)

لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عليه محمد بن عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: دَعْنَا نُقَاتِلْهُمْ، فَقَالَ:" لَا وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا يُرِيدُونَ" فَنَزَلَتْ.

وبالتحقيق لم أقف على صحة هذه الرواية، إلا أنّ معظم المفسرين يذكرون أن سبب نزولها هو صلح الحديبية. وهذا الذي يرجّح أنّ الرّواية لا أصل لها فتبقى الآية مكيّة كسائر آيات السّورة الكريمة.

قال صاحب الظّلال: "وإنّما أرسلناك لتتلو عليهم هذا القرآن، هذا القرآن العجيب، الّذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض، أو يكلّم به الموتى، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات، ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات. ولكنّه جاء لخطاب المكلفين الأحياء، فإذا لم يستجيبوا فقد آن أن ييأس منهم المؤمنون، وأن يَدَعوهُم حتى يأتي وعد الله للمكذبين"[69].

المطلب الثّالث: أهداف السّورة.

ذكر المراغي في تفسيره أنّ هذه السّورة اشتملت على جملة من الأمور، أهمها [70]:

1. إقامة الأدلة على التّوحيد بما يُرى من خلق السّموات والأرض والجبال والأنهار والزّرع والنّبات على اختلاف ألوانه وأشكاله، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾[71].

---

(69) في ظلال القرآن، (4 / 2061).

(70) تفسير المراغي، (13 / 70). بتصرف

(71) سورة الرّعد، (الآية 2-3)

2. إثبات البعث ويوم القيامة، والتّعجب من إنكارهم له، ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ أُولـئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم وَأُولـئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولـئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ** (72)"

3. استعجال العذاب من الرّسول ﷺ وبيان أنّه واقع بهم لا محالة كما وقع لمن قبلهم من الأمم الغابرة. ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ**"(73)

4. بيان أنّ للإنسان ملائكة تحفظه وتحرسه وتكتب عليه ما يكتسبه من الحسنات والسّيئات بأمر الله ﴿**لَهُ مُعَقِّباتٌ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ يَحفَظونَهُ مِن أَمرِ اللَّهِ**﴾ (74).

5. ضرب الأمثال لمن يعبد الله وحده، ولمن يعبد الأصنام بالسّيل والزّبد الرّابي. ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا وَمِمّا يوقِدونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ أَو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنفَعُ النّاسَ فَيَمكُثُ فِي الأَرضِ كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الأَمثالَ**﴾ (75).

6. بيان حال المتقين الّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم، ويخافون سوء الحساب، وأقاموا الصّلاة، وأنفقوا في السّر والعلن، وبيان مآلهم يوم القيامة ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولـئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ ﴿٢٢﴾ جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها وَمَن صَلَحَ مِن**

(72) سورة الرّعد، (الآية 5)

(73) سورة الرّعد، (الآية 6)

(74) سورة الرّعد، (الآية 11)

(75) سورة الرّعد، (الآية 17)

آبائِهِم وَأَزواجِهِم وَذُرِّيّاتِهِم وَالمَلائِكَةُ يَدخُلونَ عَلَيهِم مِن كُلِّ بابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدّارِ﴾(76).

7. بيان حال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويفسدون في الأرض وبيان مآلهم **﴿وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللَّهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ فِي الأَرضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ﴾** (77).

8. إنكار الشّركاء مع إقامة الأدلة على أنّه لا شريك لله تعالى، قال تعالى **﴿أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ فِي الأَرضِ أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ بَل زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَروا مَكرُهُم وَصُدّوا عَنِ السَّبيلِ﴾** (78)

9. وصف الجنة الّتي وُعد بها المتقون، وبيان أنّها مآل المتقين، ومآل الكافرين النّار وبئس القرار. قال تعالى **مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقونَ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلكَ عُقبَى الَّذينَ اتَّقَوا وَعُقبَى الكافِرينَ النّارُ﴾** (79)

(76) سورة الرّعد، (الآية 20 -23)

(77) سورة الرّعد، (الآية 25)

(78) سورة الرعد، (الآية 33)

(79) سورة الرعد، (الآية 35)

الفصل الثّاني: تطبيقات علم المعاني ودلالاته في سورة الرّعد.

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تطبيقات الخبر والإنشاء ودلالاتهما في سورة الرّعد.

المبحث الثّاني: تطبيقات التّقديم والتّأخير ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: تطبيقات التّعريف والتّنكير ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الرّابع: تطبيقات الفصل والوصل ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الخامس: تطبيقات الحذف والذّكر ودلالاتها في سورة الرّعد.

تمهيد

النّظم القرآني قمة البلاغة والإعجاز

لا شكّ أنّ النّظم القرآني ذو طبيعة خاصّة، تتضح وتتجلى كلّما تعمق العلماء في فهم القرآن والتّعمق في دراسته واستنباط أوجه الإعجاز ودلالته في ألفاظه وكلماته.

وقد نبّه الجاحظ [80] على أنّ القرآن الكريم قد وُضعت فيه الألفاظ في مواضعها اللّائقة [81]، يقول الرّاغب الأصفهانيّ [82] في المفردات: "فالألفاظ في القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشّعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[83].

وقد تعرّض العلماء للرد على الشّبهات التي أُثيرت حول أسلوب القرآن ونظامه وبلاغته، ومن هؤلاء: ابن قتيبه في كتابه (تأويل مشكل القرآن) و(تأويل مختلف الحديث) ويمكن تلخيص رأيه في الإعجاز مما ذكره في مقدمة (تأويل مشكل القرآن) حيث يقول: " قطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حيل المتكلّفين، وجعله متلوّا لا يملّ على طول التّلاوة، ، ومَسموعاً لا تَمجّه الآذان، وغضًا لا يخلق

(80) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البصري العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب " الحيوان ". وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت (3 / 303).

(81) البيان والتّبيين للجاحظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الفكر العربي 2000م، (20/1)

(82) الرَّاغِب الأَصْفَهَانِي، (000 – 502 هـــ = 000 – 1108 م) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء – ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن – ط) و (حلّ متشابهات القرآن – خ) و (تفصيل النشأتين – ط) في الحكمة وعلم النفس، و (تحقيق البيان – خ) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد – خ) و (أفانين البلاغة). (الأعلام (255/2).

(83) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانيّ، تحقيق: صفوان عدانان داووي، دار القلم – بيروت، 2009، (ص6).

على كثرة التّرداد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"(84)

كما أفصح صاحب كتاب (النّكت في إعجاز القرآن) عن رأيه في كتابه حين يتحدث عن باب (التّلاؤم) فيقول: "والتّلاؤم نقيض التّنافر، والتّلاؤم: تعديل الحروف في التّأليف، والتّأليف على ثلاثة أوجه: وذلك بيّن لمن تأمله، والتّلاؤم في التّعديل من غير بُعد شديد يظهر بسهولته على اللّسان، وحسنه في الأسماع، وتقبّله في الطّباع، فإذا انضاف إلى ذلك حُسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطّبقات ظهر الإعجاز"(85).

وللخطابيّ (ت ٣٨٨هـ) (86) رأيه أيضًا، حيث يذكر أنّ دقة الألفاظ وحسن اختيارها من وجوه الإعجاز في القرآن، حين يقول: "وإذا تأملتَ القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشّرف والفضيلة، فلا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا، وأشدّ الأيام وتشاكلًا من نظمه، وأمّا معانيه فكلّ ذي لبّ يشهد له بالتّقديم في أبوابه، والرّقيّ في أعلى درجاته"(87).

أمّا أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥هـ)(88) فقد تحدّث في كتابه (الصّناعتين) عن الإعجاز بالنّظم، ويذكر أنّ من أسباب تأليفه هذا الكتاب، تبصير الكتّاب بأصول الكتابة، واطلاعهم على الطّرق الصّحيحة السّليمة للتّعبير في اللّغة من ناحية الإعراب وسلامة البناء، وكذلك اطلاعهم على مواطن الإعجاز في القرآن

---

(84) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (11/1)

(85) النّكت في إعجاز القرآن للرمانيّ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: خلف الله- زغلول سلام، ط1، 1976م/ دار المعارف مصر، (ص 87)

(86) حمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن خطاب الإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الخطابي البستي، وَيُقَال إِنَّه من سلالة زيد بن الْخطاب بن نفَيْل الْعَدْوى وَلم يثبت ذَلِك كَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْه والْحَدِيث واللغة، أَخذ الْفِقْه عَن أَبِي بكر الْقفال الشاشي وأبي علي بن أَبِي هُرَيْرَة. (تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:02، 1413هـ. (3 / 282)

(87) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 24)، سبق ذكره.

(88) أبو هلال العسكري (310 - 395 هـ / 922 - 1004م) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وتلميذه، تآليفه كثيرة منها: (ديوان المعاني)، و (الفروق في اللغة)، و (جمهرة الأمثال)، و (كتاب الصناعتين): النظم والنشر. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ) إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 01، 1424 هـ (189/4).

الكريم، ويقرّر أنّ الإعجاز كامن في بلاغة القرآن المتميّزة بالنّظم العجيب وحسن التّأليف، ويظهر ذلك في قوله: "وإنّما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، وفي حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه"[89]

والباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) [90] يجمع إلى الرّوح الكلامية طابعًا أدبيًا؛ لأنّه لم يقتصر في الإعجاز على دراسته من الوجهة الكلامية، وإنّما تعرض للناحية البيانية الأسلوبية، ويبدأ بعرض الفكرة في كتاب (التّمهيد) عرضًا بسيطًا، فيثبتُ صحّة ما بين أيدينا من نصّ القرآن، ثم يثبتُ عجز العرب عن الإتيان بمثله رغم تحديهم له مرارًا ثم ينتهي إلى نتيجة عامة عن سائر كلام العرب ونظومهم" [91].

والإعجاز بالنّظم عند الباقلانيّ يرجع إلى عدة أمور منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن- على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه- خارج عن المعهود من نظم جميع كلام النّاس، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، ومنها: اشتماله على الفصاحة والمعاني اللّطيفة، والفوائد الغزيرة، والحمد الكثيرة، والتّناسب في البلاغة، والتّشابه في البراعة من غير اختلاف.

وتظهر فكرة النّظم عند الباقلانيّ بشكل أوضح، حين يذكر أنّ القرآن بديع النّظم، عجيب التّأليف، يظهر من خلال شرحه لوجوه النّظم أنّ المعاني تحتل جزءًا كبيرًا من فكرة النّظم؛ لأنّ الشّعراء والبلغاء يتفاوتون بتفاوت الأغراض والمعاني، ويتفاوتون كذلك في حُسن النّظم عند الانتقال من معنى إلى معنى، ويجب التّنبيه إلى أنّه أشار إلى أنّ بلاغة القرآن على حدٍ واحدٍ في حُسن النّظم، بالرّغم من كثرة المعاني التي يتعرض لها [92].

(89) الصّناعتين، أبو الهلال العسكري، تحقيق: البجاوي وأبي الفضيل إبراهيم، ط1، مطبعة الحلبي،1952، (ص2)

(90) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره. وفيات الأعيان (4 / 269).

(91) – التّمهيد للباقلانيّ، تحقيق: رتشرد يوسف مكارثي، جامعة الحكمة بغداد- المكتبة الشّرقية بيروت، 1957م (ص 15- 119)

(92) السّابق (ص 65)

أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) [93] فالنّظم عنده نظير النّسج والصّياغة والبناء والوشي والتّحبير، وهذا مما يجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض؛ ولذا يجئ النّظم عنده بمعنى التّرتيب (ترتيب الألفاظ في العبارة على حسب ترتيب المعاني في الذّهن) ولا بُدّ أن يكون هناك هدف من هذا التّرتيب.

وتقوم فكرة النّظم عند عبد القاهر على أسس أهمُّها علم النّحو؛ لاشتماله على الألفاظ والتّراكيب، يقول: "تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون التّالي صفة أو حالًا أو تمييزًا، أو تتوخّى في كلام؛ لإثبات معنى أن يصير نفيًا أو استفهامًا، أو تمنيًا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد فعلين: أن تجعل أحدهما شرطًا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس، وذلك هو معنى النّظم، فلا نظم في الكلم، ولا ترتيب إلّا بأن يصنع هذا الصّنيع ونحوه[94]".

تعريف علم المعاني:

علم المعاني هو: "أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقًا لِمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغَرَضِ الذي سيقَ له، فذكاء المخاطب: حال يقتضي إيجاز القول، فإذا أوَجزتَ في خطابه كان كلامك مطابقًا لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبًا: فهو مطابق لمقتضَى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغاً، وَلو أنّك عكست لانتَفَت من كلامك صِفة البلاغة"[95].

وأساس هذا العلم يَبحثُ في الجُملة، لذلك كان من القضايا الأولية في تقسيم الجملة إلى: اسمية، وفعلية، فالاسمية: وهي الّتي تتكون من مبتدأ وخبر، والفعلية: هي الّتي تتكون من فعل، وفاعل أو نائب فاعل.

---

(93) عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن الشَّيْخ أَبُو بكر الْجُرْجَانِيّ، النَّحْوِيّ الْمُتَكَلّم على مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ الْفَقِيه على مَذْهَب الشَّافِعِي، أَخذ النَّحْو بجرجان عَن أبي الْحُسَيْن مُحَمَّد بن الْحسن الْفَارِسِي ابْن أُخْت الشَّيْخ أبي عَليّ الْفَارِسِي وَصَارَ الإِمَام الْمَشْهُور الْمَقْصُود من جَمِيع الْجِهَات مَعَ الدّين المتين والورع والسكون، قَالَ السلَفِي كَانَ ورعا قانعا دخل عَلَيْهِ لص وَهُوَ فِي الصَّلَاة فَأخذ مَا وجد وَعبد القاهر ينظر وَلم يقطع صلَاته. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (5 / 149)

(94) نظرية عبد القاهر في النّظم، درويش الجندي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة،1960، (ص 54)

(95) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (ص 47).

ولكلّ من هاتين الجملتين ركنان أساسيان:

المسند إليه: وهو المبتدأ الّذي له خبر، أو الفاعل، أو نائبه.

المسند: وهو الفعل الّذي له فاعل أو نائب فاعل، أو الخبر في الجملة الاسمية [96].

تطور علم المعاني:

علم المعاني أحد علوم البلاغة الثّلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز، وكُتُبُ المتقدّمين من عُلماء العَربية خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاور مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها.

وشيئًا فشيئًا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التّخصص والاستقلال، كما أخذت مسائل كلّ فنٍّ بلاغيٍّ تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى [97].

وظلّ الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجانيّ [98] في القرن الخامس الهجريّ ووضع نظرية علم المعاني في كتابه " دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة".

إذن: عبد القاهر الجرجاني هو واضع أصول علمي المعاني والبيان، ومؤسسهما في العربية، وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النّظر فيها نظرة شاملة [99].

---

(96) بتصرف، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عباس، (ص90-87) ط2، دار النّفائس للنشر والتوزيع- الأردن، 1429هـ-2009م

(97) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (ت:1336هـ) ط1، 1430 هـ - 2009 م، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت – لبنان. (25/1)

(98) عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن الْجِرْجَانِيّ النّحْوِيّ (ت:471) الإِمَام الْمَشْهُور أَبُو بكر. أَخذ النّحْو عَن ابْن أُخْت الْفَارِسِي، وَلم يَأْخُذ عَن غَيره؛ لِأَنَّهُ لم يخرج عَن بَلَده، وَكَانَ من كبار أَئِمَّة الْعَرَبيَّة وَالْبَيَان، شافعيًا، أشعريًا. صنّف الْمُغنِي فِي شرح الْإِيضَاح، المقتصد فِي شَرحه، إعجاز الْقُرْآن الْكَبِير وَالصَّغِير، الْجمل، العوامل الْمِائَة، الْعُمْدَة فِي التصريف، وَغير ذَلِك. (من كتاب، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، (106/2)، المكتبة العصرية – لبنان/صيدا).

(99) انظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني (1/ 26)، سبق ذكره

موضوع علم المعاني:

اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملًا على تلك اللَّطائف والخصوصيّات، التي بها يُطابقُ مُقتضى الحال [100].

فائدة علم المعاني:

1- معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصَّة الله به من جودةِ السبَّك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكيب، ولُطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سُهولة التَّركيب، وجزالة كلماته، وعُذوبة ألفاظه وسلامتها – إلى غير ذلك – من محاسنه التي اقعدت العرب عن مناهضته، وحارت عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته.

2- الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في مَنثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه، وتَنسُجَ على منواله، وتُفرقَ بين جَيّد الكلام وَرديئه [101].

(100) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (ص 47).

(101) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص 47). سبق ذكره

المبحث الأول: تطبيقات الخبر والإنشاء ودلالاتها في سورة الرّعد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجملة الخبرية في سورة الرّعد.

المطلب الثّاني: الجملة الإنشائية في سورة الرّعد.

المطلب الأول: الجملة الخبرية في سورة الرّعد.

إن تراكيب كلّ لغات العالم عمومًا، واللغة العربية على وجه الخصوص، لا تتكون إلّا من ركنين أساسيين، وهما: الخبر والإنشاء.

فالخبر هو: كل قولٍ يحتمل الصّدق والكذب، والإنشاء: لا يحتمل الصدق والكذب، فالخبر هو ما يصح أن يقال لصاحبه أنّه صادقٌ أو كاذبٌ، وعلى النقيض تمامًا يكون الإنشاء (102).

وقد وُضِع قيدٌ على تعريف الخبر بحيُث إنّه يحتمل الصّدق والكذب، وهناك نوع من الكلام لا يمكن أن يحتمل الكذب أبدًا، فكلام الله تعالى صدقٌ، وكذلك ما صحّ عن النّبي ﷺ، وكذلك كلّ كلام نجزم بصدق قائله لا يحتمل كذبًا، كما أنّ هناك كلام لا يحتمل الصّدق أبدًا، كأيّ ادعاء باطلٍ، وكلّ كلام نحن على يقين من كذب قائله، لذلك وضع البلاغيون قيدًا فقالوا: "ما احتمل الصّدق والكذب لذاته"(103).

وكلّ جملة من جمل الخبر لها ركنان: محكوم عليه، وهو المسند إليه، ومحكوم به، وهو المسند، وما زاد على ذلك في الجملة غير المضاف إليه، وصلة الموصول فهو قيد (104).

هناك غرضان رئيسان للخبر عند إلقائه إلى المخاطب: فائدة الخبر إذا كان يخاطب جاهلًا فيعرّفه، ولازم الفائدة إذا كان المتكلم يريد أن يخبر المخاطب بأنّه عارف بهذا الخبر (105).

فالغرض الأول هنا هو: "فائدة الخبر" يقوم في الأصل على أساس أنّ من يُلقى إليه الخبر، أو من يُوجّه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، ويُراد إعلامه أو تعريفه به.

وهذا الغرض الّذي يسميه البلاغيون "فائدة الخبر" يتمثل في جميع الأخبار الّتي يبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء يجهلها، كذلك يتمثل في الأخبار المتعلقة

(102) انظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم المعاني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط5، 1998م، بيروت، (ص53.)

(103) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها،علم المعاني (ص 108-101) (بتصرف) فضل حسن عباس،ط/12، 1429هـ-2009م ،دار النفائس-الأردن

(104) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (ص48).

(105) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها،علم المعاني (ص 116-108)

بالحقائق الّتي تشتمل عليها الكتب في العلوم والفنون المختلفة، أو الحقائق العلمية الّتي تلقى على المتعلمين [106].

ومن التطبيقات على ذلك من سورة الرعد قوله تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ**﴾ **[107]**، ففي هذه الآية جاء الخبر لإثبات حقيقة أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ بالحق، والرّد على المشركين ودحض ادعائهم.

فقال ابن عاشور "وأخبر عن الّذي أنزل بأنّه الحق بصيغة القصر، أي هو الحق لا غيره من الكتب"[108].

فالحكم الإخباريّ كان: "الرّد على المشركين الّذين زعموه كأساطير الأولين أو لعدم الاعتداد بغيره من الكتب السّابقة، أي هو الحق الكامل؛ لأنّ غيره من الكتب لم يستكمل منتهى مراد الله من النّاس"[109].

أما الغرض الثّاني من الخبر فهو ما سماه البلاغيون "لازم الفائدة". وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنّه، أي المتكلم، عالم بحكم الخبر، أي مضمونه. [110]، كقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ**﴾ **[111]**.

ويقول ابن عاشور: "جعل البرق آية نذارة وبشارة معًا؛ لأنّهم كانوا يسمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه"**[112]**.

---

(106) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط: 03. (1/ 66).

(107) سورة الرّعد، (الآية 1).

(108) النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدّار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة " وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النّبي صلّى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلّى الله عليه وسلم كثيرا، (ت: 2هـ)، (الأعلام: 33/8).

(109) التّحرير والتّنوير، (79/13).

(110) ينظر: علم المعاني، (ص 50).

(111) سورة الرّعد، (الآية 12).

(112) التّحرير والتّنوير، (104/13).

فالبرق (لازم الفائدة) وبمجرد ذكره ترتسم صورته في الذهن، وليس المراد إخبارهم بشكل البرق أو صفته، فهم يعلمونهما، إنّما -والله أعلم- سيقت لتعظيم قدرة الله في البرق، فالمراد من البرق معناه المتبادر.

إذًا، هذان غرضان رئيسان للخبر عند إلقائه للمخاطب: "فائدة الخبر، ولازم الفائدة".

أضرب الخبر:

الخبر سواء أكان الغرض منه "فائدة الخبر" أو "لازم الفائدة" لا يأتي على ضرب واحد من القول، وإنّما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان.

ينقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام: الابتدائيّ والطّلبيّ والإنكاريّ.

أولًا: الابتدائيّ: وهو الخبر الذي يلقى إلى المخَاطب خاليًا من كل توكيد [113] وهو موجه لخالي الذّهن الّذي لا يُعرف منه إنكارٌ، ولا يراوده شكّ أو تردد فيما تلقيه إليه، فينبغي أن نلقي إليه الخبر خاليًا من التّأكيد، مثل قول الشاعر:

ربَّ مَهْزولٍ سَمينٍ بَيتُه وسَمينِ البَيتِ مَهْزولِ النَّسَبِ"[114]

ثانيًا: الطّلبيّ: وهو موجه لمن تردد في الحكم شاكًّا فيه، فكان من الواجب توكيده له بمؤكد واحد، ومن ذلك قول الفرزدق:

إنَّ الذي سمكَ السماءَ بنى لنا بيتًا دعائِمُه أعزُّ وأطولُ [115]

ثالثًا: الإنكاريّ: وهو ما زاد توكيده على مؤكد واحد، ويكون موجه لمنكر حكم الخبر، ويجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، وبهذا نعلم أن أضرب الخبر ثلاثة، لكلّ منها حالة معينة، تستوجب قدرًا معيَّنًا من التأكيد أو عدمه [116]، ومن ذلك قول كعب بن زهير:

---

(113) انظر: بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم المعاني، ط:06، 1999م، دار العلم للملايين - بيروت (ص67).

(114) مسكين الدارمي، ديوان الشاعر مسكين الدارمي، تح: كارين صادر، بيروت، دار صادر، ط1، 2000م (ص15).

(115) همام بن غالب، ديوان الفرزدق، (تحقيق: علي فاعور)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م (ص489).

(116)انظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، (ص68).

إنَّ الرَّسُولَ لسَيفٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سِيوفِ اللهِ مَسْلُولٌ (117).

وهكذا مؤكّدات تتغيّر وتتنوّع بحسب حال المخاطب، وطريقة إلقاء الخبر إليه بما يناسبه؛ لينتظم المعنى، وتتألف العبارات، وتتناسب مع المعنى، وهنا نلقي الضّوء على أدوات التّأكيد في سورة الرّعد، ومنها:

1. (إنَّ) قال تعالى ﴿**إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ (118) حيث جاءت (إنّ) إشارة تأكيد على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ**﴾، وما في الوصف للآيات الكونيّة العظام، وتأكيد أنّ ذكر تفصيل الآيات لقوم يتفكرون، أي: ديدنهم إعمال العقل والتّفكير، ونلاحظ أنّه جاء مع إنّ لام التوكيد (119).

ومثال آخر من قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ (120) وَتَأْكِيدُ الشَّرْطِ بِنُونِ التَّوْكِيدِ وَمَا الْمَزِيدَةِ بَعْدَ إِنْ الشَّرْطِيَّةِ مُرَادٌ مِنْهُ تَأْكِيدُ الرَّبْطِ، (121).

(إِنْ) أدْخلَت عليها (مَا) لتوكيد الشرط، ودخلت النون مؤكدة للفعل ﴿**أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ عطف على ﴿**نُرِيَنَّكَ**﴾ وجواب الجزاء: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ أي علينا الحساب؛ لِنَجْزيَ كل نفس بما عملت، والمعنى إما أرَيْنَاكَ بعض الذي وعدناهم من إظهار دين الإسلام على الدين كله، أو توفيناك قبل ذلك، فليس عليك إلَّا البَلاغُ – كَفَروا هم به أو آمنوا (122).

---

(117) كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، (تحقيق: علي فاعور)، بيروت، مكتبة الكتب العلمية، 1997م، (ص67).

(118) سورة الرّعد، (الآية 3).

(119) محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ) الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: 04، 1418 هـ، (89/13).

(120) سورة الرّعد، (الآية 40).

(121) التّحرير والتّنوير (169/13).

(122) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ) معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب – بيروت، ط:01، 1408 هـ - 1988 م (150/3).

2. ضمير الفصل (**هُوَ**) في قوله تعالى: ﴿**وَيُرسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بِها مَن يَشاءُ وَهُم يُجادِلونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَديدُ المِحالِ**﴾ [123]، وضمير الفصل وضع؛ لأنّه يفصل المبتدأ وخبره، وهو يفيد التّأكيد [124]، وأيضًا من فوائده أنّه يأتي للاختصاص، وأنّ ما بعده يكون خبرًا لا صفة، فلو قال تعالى: "يجادلون في الله شديد المحال" لكانت صفةً لا خبراً، وبمجيئ ضمير الفصل تعرب خبرًا، والخبر أقوى في الدّلالة على تثبيت الحكم من الصّفة [125].

فأكد ضمير الفصل هنا شدة مكر الله وقدرته على عقاب المجادلين.

3. (**أمَّا**) الشّرطية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا وَمِمّا يوقِدونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ أَو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنفَعُ النّاسَ فَيَمكُثُ فِي الأَرضِ كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الأَمثالَ**﴾[126]، فاستخدم أداة (أما) لتفيد التعدد، وكان ذلك مناسباً لسياق الآية التي تتحدث عن نقيضين أساسين، وهما: ما يضر الناس فيذهب جفاء، وما يمكث في الأرض هو الذي ينفع الناس.

4. حرف التّنبيه: (**ألا**) الذي يفيد التّحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ**﴾ [127].

5. (**قد**) وتأتي بعدة أقسام، وما يهم منهم هو التّأكيد إذا قُصد منها تحقيق الفعل الّذي دخلت عليه، مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ**﴾ [128]، وأيضًا

---

(123) سورة الرّعد، (الآية 13).

(124) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط: 01، 1993م.، (172/1).

(125) أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773 هـ) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط: 01، 1423 هـ - 2003 م، (1/ 129).

(126) سورة الرّعد، (الآية 17).

(127) سورة الرّعد، (الآية آية 28).

(128) سورة الرّعد، (الآية 6).

قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ فَأَملَيتُ لِلَّذينَ كَفَروا ثُمَّ أَخَذتُهُم فَكَيفَ كانَ عِقابِ**﴾ [129].

أي: أمهلتهم وتركتهم مدة من الزمن، في أمن ودعة، كما يملى للبهيمة في المرعى ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ**﴾ أي: عقابي إياهم، وفيه من الدلالة على فظاعته ما لا يخفى، والآية تسلية لرسول الله ﷺ عمّا لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح، على طريقة الاستهزاء به، ووعيد لهم **(130)**.

وللتوكيد طرق منها:

1) **الجملة الإسمية:** كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ [131] جملة اسمية أكّدت أنّ النّبي وظيفته محصورة في إنذار قومه فحسب، أمّا الهداية والإيمان، فالله يَهَبُهما مَن يشاء من عباده، ودلت من الناحية المعنوية على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغ عن ربه. [132]

2) **تقديم الفاعل من حيث المعنى:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ **(133)**، فأصبح تقدير الكلام -والله أعلم- "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ .... وَهُوَ الَّذِي يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ" فتقدم الفاعل المستتر (هو) في أول الجملة؛ للدلالة على التأكيد.

وبالنظر إلى تطبيقات الخبر في سورة الرّعد نجد من الأمثلة الوفيرة ما يكفي لتحليلها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ**

(129) سورة الرّعد، (الآية 32).

(130)محاسن التأويل، (286/6).

(131) سورة الرّعد، (الآية 7).

(132) التحرير والتنوير، (95/13) بتصرف

(133) سورة الرعد (الآية 3).

استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (134).

وتظهر هنا براعة الخبر التي تتجلى في استهلال الآية بلفظ الجلالة الاسم الظّاهر: ﴿**اللَّهُ**﴾ دون ضمير يعود عليه، وكان مدعاة ذلك التقرير والإيضاح، فالمسند إليه وهو: ﴿**اللَّهُ**﴾ فيه دلالة واضحة، فالخبر مختصّ به، وبذلك يرفع شائبة الشّرك بينه تعالى وبين غيره من "آلهتهم"(135).

يقول الزّمخشري: الله مبتدأ. والذي خبره، بدليل قوله **(وهو الذي مد الأرض)** ويجوز أن يكون صفة. وقوله **(يدبر الأمر يفصل الآيات)** خبر بعد خبر. وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السماوات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك. وقيل هي صفة لعمد. (136)

وأمّا ما يتعلق بالخبر الإنكاري فقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ**﴾ (137).

سأقف مع هذه الآية؛ لأنظر في أنواع الخبر الوارد فيها؛ فجملة ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ**﴾ معطوفة على ما قبلها ﴿ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾(138) فحال الكفار وهم يسودهم الظّنّ مناسبًا لقوله: ﴿**وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ**﴾ فجاء الخبر بحرف (قد) الّذي سبق فعلاً ماضياً، فيُفيد التحقيق وتأكيد لما حلّ بالأمم السّابقة من تكذيبهم للرسل؛ ليأتي حرف إنَّ؛ ليؤكد مغفرة الله للناس فيقول: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم**﴾ ويقبل توبتهم ويؤكد على العذاب الواقع لهم بعد ذلك إن أصروا على العناد والكفر، فقال: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ**﴾.

---

(134) سورة الرّعد، (الآية 2).

(135) التحرير والتنوير، (80/13) بتصرف

(136) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط:03، ج:4، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407 هـ، (398/2).

(137) سورة الرّعد، (الآية 6).

(138) سورة الرّعد، (الآية 5).

ونجد هذه الآية قد احتوت على جميع أضرب الخبر، فالابتدائيّ في جملة: ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ**﴾ طلبوا الاستعجال بالعذاب وحالهم فيه من الشّكّ فذكّرهم بتوكيد حرف (قد) بحال من سلفهم ﴿**وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ**﴾ لعلهم يتوبون إلى الله الّذي أكّد لهم بحرف إنّ ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم**﴾ واتبعها بتوكيد آخر يؤكد مصيرهم في الآخرة إن بقوا على عنادهم وكفرهم حيث قال ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ**﴾ ؛كذلك جاء الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[139] جاء استفهامها إنكارياً دلّ على الاستبعاد معتمدًا على الأسلوب الشّرطيّ في بناء الآية الكريمة[140].

وهناك أغراض يمكن أن نستنتجها يدلنا عليها سياق الحديث، ومنها:

1. **القصر**: نحو قوله تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ (141) أخبر عن الّذي أنزل بأنّه الحق بصيغة القصر (142).

وتقدير الكلام –والله أعلم– أنزل الحق إليك من ربك.

وفي قوله تعالى ﴿**وَإِن ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيكَ البَلاغُ وَعَلَينَا الحِسابُ**﴾ [143]. نرى أنّ ضمير الرّسول ﷺ (عليك) مقصور (والبلاغ) مقصور عليه، ومعنى هذا: إنّما عليك البلاغ لا الحساب.

قال الزمخشري: "﴿**وَإِن ما نُرِيَنَّكَ**﴾ وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو ﴿**نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرّسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنّك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم [144]".

---

(139) سورة الرّعد، (الآية 5).

(140) انظر التّحرير والتّنوير، (ص 89).

(141) سورة الرّعد، (الآية 1).

(142) التّحرير والتّنوير، (79/13)

(143) سورة الرّعد، (الآية 40).

(144) الكشاف، (534/2).

قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ**﴾ (145). فالتّذكر لا يكون إلّا من العقلاء.

يقول ابن عاشور "جملة إنّما يتذكر أولو الألباب تعليل للإنكار الّذي هو بمعنى الانتفاء بأنّ سبب عدم علمهم بالحق أنّهم ليسوا أهلا للتذكر لأنّ التّذكر من شعار أولي الألباب، أي العقول. والقصر بـ (إنّما) إضافي، أي لا غير أولي الألباب، فهو تعريض بالمشركين بأنّهم لا عقول لهم إذ انتفت عنهم فائدة عقولهم (146).

2. **إثبات الوحدانية:** نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ (147).

يقول ابن عاشور: "تدبير الأمر يشمل تقدير الخلق الأول والثّاني فهو إشارة إلى التّصرف بالتّكوين للعقول والعوالم، وتفصيل الآيات مشير إلى التّصرف بإقامة الأدلة والبراهين، وشأن مجموع الأمرين أن يفيد اهتداء النّاس إلى اليقين بأنّ بعد هذه الحياة حياة أخرى، وهذا من إدماج غرض في أثناء غرض آخر؛ لأنّ الكلام جارٍ على إثبات الوحدانية، وفي أدلّة الوحدانية دلالة على البعث أيضًا"(148).

3. **الرّد على منكري البعث:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ أُولئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم وَأُولئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ**﴾ (149).

ولما قضي حقّ الاستدلال على الوحدانية نقل الكلام إلى الرّد على منكري البعث، وهو غرض مستقل مقصود من هذه السّورة، وقد أدمج ابتداء خلال الاستدلال على

---

(145) سورة الرّعد، (الآية 19).

(146) التّحرير والتّنوير، (123/13).

(147) سورة الرّعد، (الآية 2- 3).

(148) ينظر: التّحرير والتّنوير، (81/13).

(149) سورة الرّعد، (الآية 5).

الوحدانية بقوله: ﴿**لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾ تمهيدًا لما هنا، وليس المقصود من الشّرط في مثل هذا تعليق حصول مضمون جواب الشّرط على حصول فعل الشّرط كما هو شأن الشّروط [150].

4. **التّنويه:** قال تعالى: ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ قُل إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي إِلَيهِ مَن أَنابَ**﴾ [151].

5. **نفي التّسوية: قال** تعالى: ﴿**أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَن هُوَ أَعمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ**﴾ [152].

حيث ذكر في الآيتين آنفتي الذّكر حال فريقين في المحامد والمساوئ؛ ليظهر التنويه ونفي التّسوية بينهما في الجمل السّابقة وذلك النّفي يراد به تفضيل أحد الفريقين على الآخر هو نفي مؤيد بالحجة [153]".

(150) التّحرير والتّنوير، (13/ 89)

(151) سورة الرّعد، (الآية 27).

(152) سورة الرّعد، (الآية 19).

(153) التّحرير والتّنوير، (13/ 123) بتصرف

المطلب الثّاني: الجملة الانشائية في سورة الرّعد.

تعريف الانشاء: هو ما لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا.

أقسام الانشاء: الانشاء قسمان: طلبيّ، وغير طلبيّ.

فالطّلبيّ هو أن يَستدعيَ الكلام الّذي يُقال شيئًا غير حاصل عند النّطق، نحو: أكتب الدّرس، وغير الطلبيّ إن كان الإنشاء لا يستدعي أمرًا حاصلًا عند الطّلب، كالتّعجب والمدح والذم، والدّعاء وصيغ العقود، والقسم وبعض أفعال المقاربة مثل: (كاد) و(وكرب)، وأفعال الرّجاء مثل: (عسى) و(حرى) و(اخلولق) [154]، وهذا مما لا يبحث فيه البلاغيون. ويقتصر بحثهم على الإنشاء الطّلبيّ، وهو خمسة أقسام: الأمر، والنّهي، والتّمني، والاستفهام، والنّداء.

وهو ما سيظهر لنا خلال التّطبيقات على سورة الرّعد:

أولًا: الأمر: وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء، والأصل في الأمر أن يدل على الوجوب، وإنّما يدل على غيره بالقرائن، وقد يخرج الأمر عن معناه إلى معانٍ أخرى، وقد يتداخل بعضها في بعضها الآخر، مثل: الإرشاد، الاعتبار، التّخيير، الدّوام، التّأديب [155].

وقد وردت صيغة فعل الأمر (قل) تسع مرات في سورة الرّعد، ومنها أربع مرات في الآية السّادسة عشرة، فيقول الله تعالى: ﴿**قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّـهُ قُل أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلا ضَرًّا قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ أَم جَعَلوا لِلَّـهِ شُرَكاءَ خَلَقوا كَخَلقِهِ فَتَشابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم قُلِ اللَّـهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ [156].

يقول ابن عاشور " لما نهضت الأدلة الصريحة بمظاهر الموجودات المتنوعة على انفراده بالإلهية من قوله: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾[157] وَقَوْلِهِ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ**﴾[158]

(154) ينظر: البلاغة فنونها وافنانها (ص151) سبق ذكره.

(155) البلاغة فنونها وأفنانها، (ص 154) بتصرف

(156) سورة الرّعد، (الآية 16).

(157) سورة الرّعد، (الآية 2).

(158) سورة الرّعد، (الآية 3).

وَقَوْلِهِ: ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى**﴾[159] **وَقَوْلِهِ**: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ**﴾[160]، وبما فيها من دلالة رمزية دقيقة من قوله: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**﴾[161] وَقَوْلِهِ: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ**﴾[162] إلى آخرها لا جرم تهيأ المقام لتقرير المشـــركين تقريرا لا يجدون معه عن الإقرار مندوحة، ثم لتقريعهم على الإشـراك تقريعا لا يسـعهم إلا تجرع مرارته، لذلك اسـتؤنف الكلام وافتتح بالأمر بالقول تنويها بوضـوح الحجة."[163]

كـذلك أعـاد فعـل الأمـر بالقـول في: ﴿**قُـل هَـل يَسـتَوِي الأَعمـى وَالبَصـيرُ أَم هَـل تَسـتَوِي الظُّلُمـاتُ وَالنّـورُ**﴾ للاهتمـام الخـاص بهـذا الكـلام؛ لأنّ مـا قبلـه إبطـال لاسـتحقاق آلهتهم العبادة [164].

وفي الآيـة السّـابعة والعشـرين، يقـول تعـالى: ﴿**وَيَقـولُ الَّـذينَ كَفَـروا لَـولا أُنـزِلَ عَلَيـهِ آيَـةٌ مِن رَبِّهِ قُل إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي إِلَيهِ مَن أَناب**﴾.

ذكـر صـاحب الكشـاف "كيـف طـابق قـولهم: ﴿**لَـولا أُنـزِلَ عَلَيـهِ آيَـةٌ مِـن رَبِّـهِ**﴾، قولـه: ﴿**قُـل إِنَّ اللَّـهَ يُضِـلُّ مَـن يَشـاءُ**﴾ فقـال: " قلـت: هـو كـلام يجـرى مجـرى التّعجـب مـن قـولهم، وذلـك أنّ الآيات البـاهرة المتكـاثرة الّـتي أوتيهـا رسـول الله ﷺ لم يؤتهـا نـبي قبلـه، وكفـى بالقـرآن وحـده آيـة وراء كـل آيـة، فـإذا جحـدوها ولم يعتـدوا بهـا وجعلـوه كـأنّ آيـة لم تنـزل عليـه قـط، كـان موضـعًا للتعجـب والاسـتنكار، فكأنّـه قيـل لهـم: مـا أعظـم عنـادكم، ومـا أشـد تصـميمكم علـى كفـركم: إنّ الله يضـل مـن يشـاء ممـن كـان علـى صـفتكم مـن التّصـميم وشـدة الشّـكيمة[165] في الكفر..."[166].

---

(159) سورة الرّعد، (الآية 8).

(160) سورة الرّعد، (الآية 12).

(161) سورة الرّعد، (الآية 14).

(162) سورة الرّعد، (الآية 15).

(163) التّحرير والتّنوير، (3/112).

(164) التّحرير والتّنوير، (13/ 114)

(165) الحَديدَةُ المعْتَرِضَةُ في فم الفَرَسِ. ويُقالُ: فلانٌ شَديد الشَّكيمَة: إذا كانَ لا يَنْقادُ. (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الأفريقي، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط: 03 - 1414 هـ، (324/12).

(166) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (528/2).

وفي الآيـة الثلاثـين، يقـول تعـالى: ﴿**قُـلْ هُـوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلّا هُـوَ عَلَيـهِ تَوَكَّلـتُ وَإِلَيـهِ مَتـابِ**﴾، وهنـا فعـل الأمـر تلقـين النّبي محمـد ﷺ بإبطـال كفـرهم المحكـيّ إبطـالًا جامعًـا بأن يقـول: هـو ربي؛ فضـمير (هـو) عائـد علـى (الـرّحمن) باعتبـار المسـمى بهـذا الاسـم، أي المسـمى (هـو ربي)، وأنّ (الـرّحمن) اسمـه، واختيـار اسـم (الـرّحمن) مـن بـين أسمائـه تعـالى؛ لأنّ كفـرهم بهـذا الاسـم أشـد؛ لأنّهـم أنكـروا أن يكـون الله (الـرّحمن) كـذلك لمـا اتصـف بالرّحمانيـة كـان المتـاب إليـه؛ لأنّ رحمانيتـه مظنة لقبوله توبة عبده [167]،

وفي الآيـة الثانيـة والثلاثـين، يقـول تعـالى: ﴿**أَفَمَـن هُـوَ قـائِمٌ عَلـى كُـلِّ نَفـسٍ بِمـا كَسَـبَت وَجَعَلـوا لِلَّـهِ شُـرَكاءَ قُـل سَمّـوهُم أَم تُنَبِّئونَـهُ بِمـا لا يَعلَـمُ فِي الأَرضِ أَم بِظـاهِرٍ مِـنَ القَـولِ**﴾ جملـة: (**قـل سمـوهم**)، اسـتئناف أعيـد معهـا الأمـر بالقـول؛ لاسـترعاء الأفهـام لـوعي مـا سـيذكر، وهـذه كلمـة جامعـة، أعـني جملـة (سمـوهم)، وقـد تضـمنت ردًا عليهم، فـالمعنى: سمـوهم شـركاء فليس لهـم حـظ إلا التّسـمية، أي دون مسـمى الشّـريك، فـالأمر مسـتعمل في معـنى الإباحـة كنايـة عـن قلـة المبـالاة بادعـائهم أنّهـم شـركاء، مثـل: ﴿**قُـلْ كُونُـوا حِجَـارَةً أَوْ حَدِيـدًا**﴾[168]، وكمـا تقـول للـذي يخطـئ في كلامـه: قـل مـا شـئت، والمعـنى: إن هـي إلا أسمـاء سميتموهـا لا مسـميات لهـا بوصـف الإلهية؛ لأنّها حجارة لا صفات لها من صفات التّصرف[169].

وفي الآيـة السّادسـة والثّلاثـين، يقـول تعـالى: ﴿**وَالَّـذينَ آتَينـاهُمُ الكِتـابَ يَفرَحـونَ بِمـا أُنـزِلَ إِلَيـكَ وَمِـنَ الأَحـزابِ مَـن يُنكِـرُ بَعضَـهُ قُـل إِنَّمـا أُمِـرتُ أَن أَعبُـدَ اللَّـهَ وَلا أُشـرِكَ بِـهِ إِلَيـهِ أَدعـو وَإِلَيـهِ مَـآبِ**﴾، **ذكـر** ابـن عاشـور بلاغـة هـذه الآيـة إذ يقـول: "ولمـا كـان المـأمور بـه مجمـوع شيئين: عبادة الله، وعدم الإشراك به في ذلك آل المعنى: أنّي ما أمرت إلا بتوحيد الله.

ومـن بلاغـة الجـدل القـرآني أنّـه لم يأت بـذلك مـن أول الكـلام، بـل أتـى بـه متـدرجًا فيـه فقـال: أن أعبـد الله؛ لأنّـه لا ينـازع في ذلـك أحـد مـن أهـل الكتـاب ولا المشـركين، ثم جـاء بعـده،

(167) التّحرير والتّنوير، (13/ 142)

(168) سورة الإسراء، (الآية 50).

(169) التّحرير والتّنوير، (13/ 151)

ولا أشرك به؛ لإبطال إشراك المشركين وللتعريض بإبطال إلهية عيسى- عليه السّلام -؛ لأنّ ادعاء بُنوّتِه من الله تعالى يؤول إلى الإشراك [170]".

وفي الآية الثّالثة والأربعين، يقول تعالى ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَستَ مُرسَلًا قُل كَفى بِاللَّهِ شَهيدًا بَيني وَبَينَكُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الكِتابِ**﴾.

لما كانت مقالتهم المحكية هنا صريحة لا مواربة فيها أمر الرّسول ﷺ بجواب لا جدال فيه، وهو تحكيم الله بينه وبينهم [171].

فالأمر في قوله تعالى: (قُل) فيه دلالة الوجوب الإلزامي، التي تلزمه ﷺ بعدم مجاراة الكفار، وتحكيم الله بينه وبينهم، فهو — سبحانه - خير شاهد على صدقه ﷺ.

وهكذا نلحظ كثرة التعبير في هذه السورة بفعل الأمر (قل) وهي المعروفة بالتلقينيّة، وهذا من عادة القرآن المكي؛ في عرض مسائل الاعتقاد من خلال التعبير بقل التلقينيّة، "بمعنى تلقين النبي بالحجج من أجل عرضها على الخصوم ومناظرتهم بها". [172]

ثانيًا: النّهي: وهو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية [173].

وقد ورد في سورة الرّعد أسلوب في ظاهره النفي؛ لكنّ مدلوله النهي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ**﴾ [174].

فالمؤمنون الذين يتسارعون في الوفاء بالعهد والطّاعة التزامًا بما أمر الله ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ**﴾.

---

(170) التّحرير والتّنوير، (13/ 158).

(171) التّحرير والتّنوير، (13/ 175)

(172) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط 2، 1418 هـ، (127/7) بتصرف

(173) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (76/1).

(174) سورة الرّعد، (الآية 20- 21).

كذلك ورد النّهي عن نقض العهد والميثاق بصيغة طلبية، وبأسلوب خبريّ يحمل معنى النّهي، فقوله تعالى: ﴿**وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾ مدلوله لا تنقضوا الميثاق؛ لتكونوا من أولي الألباب. (175)

ثالثًا: التّمني: وهو طلب حصول الشّيء المحبوب دون أن يكون لك طمع وترقب في حصوله؛ ذلك لأنّ الشّيء الّذي تحبّه إن كان قريب الحصول مترقب الوقوع كان ترجيًا، ولا يسمى تمنيًا، وللتمني أربع أدوات، واحدة أصلية، وهي: "**ليت**"، وثلاث غير أصلية نائبة عنها ويتمنى بها لغرض بلاغيّ، وهي: "**هل، لو، لعل**" وقد تستعمل في التّرجي "ليت" لغرض بلاغيّ (176).

والأداة الأم الّتي وضعت للتمني (**ليت**) ولذلك كثر مجيئها في كتاب الله ولم ترد معنا في سورة الرّعد.

أمّا (**هل**) فهي في أصلها أداة استفهام وتستعمل للتّمني إذا أردنا أن نبرز المتمني في صورة الممكن الّذي لا نجزم بانتفائه وذلك لكمال العناية به، ومثال ذلك قولنا: فهل لنا أن نستسمح شيوخنا أن يفسحوا المجال أمام شبابنا؟ (177)

ولم ترد معنا في سورة الرّعد.

وأمّا (**لو**) فهي حرف امتناع لامتناع، ونأتي بها حينما يكون المتمنى عزيزًا صعب الوقوع بعيد المنال، قال تعالى: ﴿**لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَمِيعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ**﴾ (178).

وهذا في الآخرة عندما تتجلى لهم الحقيقة ويدركون حقيقة دخولهم جهنم؛ لاستكبارهم وعنادهم في الدّنيا.

---

(175) التحرير والتنوير، (124/13) بتصرف

(176) البلاغة فنونها وأفنانها، (ص 160).

(177) نفس المصدر، (ص161)

(178) سورة الرّعد، (الآية 18).

وقوله تعالى: ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ قُل إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي إِلَيهِ مَن أَنابَ**﴾ (179).

وفي قوله تعالى ﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى**﴾ (180).

قال صاحب الكشاف "﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا**﴾ جوابه محذوف، كما تقول لغلامك: لو أنّي قمت إليك، وتترك الجواب والمعنى: ﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ**﴾ عن مقارها، وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعًا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التّذكير ونهاية في الإنذار والتّخويف..."(181).

وجاء في التّحرير والتّنوير "المعنى: لو أنّ كتابًا من الكتب السّالفة اشتمل على أكثر من الهداية فكانت مصادر لإيجاد العجائب لكان هذا القرآن كذلك ولكن لم يكن قرآن كذلك، فهذا القرآن لا يتطلب منه الاشتمال على ذلك إذ ليس ذلك من سنن الكتب الإلهية، وجواب لو محذوف لدلالة المقام عليه (182)".

أمّا بالنّسبة لقوله تعالى ﴿**أَفَلَم يَيأَسِ الَّذينَ آمَنوا أَن لَو يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعًا**﴾ (183) فأداة (**لو**) هنا ليست للتّمني؛ لأنّه قد تقرر في علم النّحو أنّ الفعل المضارع ينصب بأنّ مضمرة بعد الأمر، والنّهي، والتّمني، والعرض، والتّخصيص، والاستفهام، والنّفي (184).

وأما (لعل): فحملها في القرآن على معنى واحد لا يستقيم؛ بل إن معناها يختلف من موضع إلى آخر حسب سياقها وموضعها. فهي في ابتداء الكلام تفيد معنى غير المعنى

---

(179) سورة الرّعد، (الآية 27).

(180) سورة الرّعد، (الآية 11).

(181) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (529/2).

(182) ينظر: التّحرير والتّنوير، (143/13).

(183) سورة الرّعد، (الآية 31).

(184) البلاغة فنونها وأفنانها، (ص164).

الـذي تفيـده إذا جـاءت بعـد طلـب، ومعناهـا في كـلام الله تعـالى لـيس كمعناهـا في كـلام غـيره. وتفصيل الكلام في لعل ومعانيها يطول.

يقـول ابـن عاشـور: لعـل الواقعـة في مقـام تعليـل أمـر أو نهـي لهـا اسـتعمال يغـاير اسـتعمال لعـل المسـتأنفة في الكـلام سـواء وقعـت في كـلام الله أم في غـيره، فـإذا قلـت افتقـد فـلانا لعلـك تنصـحه كـان إخبـارا باقـتراب وقـوع الشـيء وأنـه في حيـز الإمكـان إن تم مـا علـق عليـه... ومعنى لعل غير معنى أفعال المقاربة."[185]

وقـد وردت مـرة واحـدة في بدايـة سـورة الرعـد في قولـه تعـالى:﴿ **يُـدَبِّرُ الأَمْـرَ يُفَصِّـلُ الآياتِ لَعَلَّكُـم بِلِقـاءِ رَبِّكُـم توقِنـونَ**﴾ [186] ومعناهـا ترجيـة مـن الله واقعـة لكمالـه، والترجيـة مـن غيره متوقعة لعجزه"[187]

رابعًـا: الاسـتفهام: طلـب حصـول الفهـم في الـذهن والمطلـوب حصـوله إمّـا أن يكـون حكمًـا بشـيء أو لا يكـون، والأول هـو التصـديق، ويمتنـع انفكاكـه مـن تصـور الطـرفين، والثـاني هـو التّصـور ولا يمتنـع انفكاكـه مـن التصـديق. بمعـنى آخـر: هـو طلـب العلـم بشـيء لم يكـن معلومـا مـن قبـل بأداة خاصـة. وأدوات الاسـتفهام كثـيرة منهـا: حرفـا (الهمـزة، وهـل). وتسـعة أسمـاء هـي: (مـن) و(مـا) و(مـتى) و(أيـن) و(أيان) و(أنّى) و(كيـف) و(كـم) و(أي) [188]. (ولم يوجـد كبـير تطبيق على هذه الأدوات في سورة الرعد)

وهناك أغراض تخرج إليها أدوات الاستفهام، منها:

الإنكـار: ويسـمى اسـتفهامًا إنكـاريًا؛ وهـو قسـمان: تكـذيبيّ وتـوبيخيّ، ويسـتعمل في إنكـار أمـر علـى شـخص مـا ادعـى كـذبًا أو قـال أو عمـل عمـلًا مـا ينبغـي لـه ذلـك، والغـرض البيـانيّ مـن الاسـتفهام الإنكـاريّ هـو عنـدما نلقـي الكـلام بصـيغة الاسـتفهام كأنّنـا ننتظـر مـن

(185) التحرير والتنوير، (330/1) بتصرف

(186) سورة الرعد، (الآية 2)

(187) ينظر: محمد صالح علي مصطفى، تفسير سورة الرعد، ط:01، 1408هـ - 1988م، دار النفائس للنشر والتوزيع – الرياض، (ص52)

(188) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (91/1) بتصرف

المخاطب جوابًا فسيفكر ويدخل في ضيق وحرج فإن سولت له نفسه أن يجادل في الباطل سيزداد إحراجًا على إحراج وأيضًا يدلل على الثّقة في نفس المخاطِب لإدراكه أنّ كلامه لا يحمل أدنى ريب [189]".

مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿**قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ قُل أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلا ضَرًّا**﴾ [190].

قال ابن عاشور " فالاستفهام تقرير وتوبيخ وتسفيه لرأيهم بناء على الإقرار المسلّم، وفيه استدلال آخر على عدم أهلية أصنامهم للأهلية فإنّ اتخاذهم أولياء من دونه معلوم لا يحتاج إلى الاستفهام عنه، وجملة لا يملكون صفة لـ أولياء، والمقصود منها تنبيه السامعين للنظر في تلك الصفة فإنّهم إن تدبروا علموها وعلموا أنّ من كانت تلك صفته فليس بأهل؛ لأن يعبد [191]".

كذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ فِي الأَرضِ أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ بَل زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَروا مَكرُهُم وَصُدّوا عَنِ السَّبيلِ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ**﴾ [192].

ورد الاستفهام الإنكاريّ في قوله تعالى ﴿**أَفَمَن**﴾ وحذف خبره تصريحًا في التّوبيخ والزّراية عليهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما.

كذلك؛ **نفي الشّيء بإيجابه أو عكس الظّاهر**؛ وهو في قوله تعالى ﴿**أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ**﴾ وحقيقة هذا النّفي أنّهم ليسوا بشركاء وأنّ الله لا يعلمهم كذلك لأنّهم- في الواقع- ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله إلّا أنّها مربوبة حادثة لا آلهة.

(189) بتصرف: البلاغة فنونها وأفنانها، (ص179-205).

(190) سورة الرّعد، (آية 16).

(191)التّحرير والتّنوير، (113/13).

(192) سورة الرّعد، (آية 33).

والاستدراج بقوله ﴿**أَم بِظَاهِرٍ مِنَ القَولِ**﴾؛ ليحثهم على التّفكير دون القول المجرد من الفكر. (193)

التّعجب: وهو من الأغراض الّتي تخرج لها أدوات الاستفهام غير التّقرير والإنكار؛ مثاله في قوله تعالى ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ**﴾.

"ليس المقصود من الشّرط في مثل هذا تعليق حصول مضمون جواب الشّرط على حصول فعل الشّرط كما هو شأن الشّروط، ولكن المقصود أنّه إن كان اتصاف بتعجب فقولهم ذلك هو أسبق من كل عجب لكل متعجب **(194)**".

الهمزة: وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَن هُوَ أَعمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ**﴾ **(195)**.

قال الزّمخشري: "دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أنّ حال من علم أنّما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب، بمعزل من حال الجاهل الّذي لم يستبصر فيستجيب: كبعد ما بين الزّبد والماء والخبث والإبريز إنّما يتذكر أولوا الألباب أي الّذين عملوا على قضيات عقولهم، فنظروا واستبصروا (196)".

يقول ابن عاشور: "الكلام لنفي استواء المؤمن والكافر في صورة الاستفهام تنبيها على غفلة الضّالين عن عدم الاستواء... **(197)**".

---

(193) ينظر: اعراب القرآن وبيانه، (129/5).

(194) التّحرير والتّنوير، (13/ 89).

(195) سورة الرّعد، (الآية 19).

(196) الكشاف، (524/2).

(197) ينظر: التّحرير والتّنوير، (123/13).

وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ فِي الأَرضِ أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ بَل زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَروا مَكرُهُم وَصُدّوا عَنِ السَّبيلِ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ**﴾ [198]

يقول ابن عاشور: "الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام مؤخرة من تقديم لأنّ همزة الاستفهام لها الصّدارة، فتقدير أصل النّظم: فأمن هو قائم. فالفاء لتفريع الاستفهام، وليس الاستفهام استفهامًا على التّفريع، وذلك هو الوجه في وقوع حروف العطف الثّلاثة: الواو والفاء وثم، بعد الاستفهام وهو رأي المحققين، خلافا لمن يجعلون الاستفهام واردًا على حرف العطف وما عطفه [199]".

(198) سورة الرّعد، (الآية 33).

(199) التّحرير والتّنوير، (149/13).

المبحث الثّاني: تطبيقات أسلوب التّقديم والتّأخير ودلالاته في سورة الرّعد.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تقديم المسند إليه واعتباراته وأغراضه في سورة الرّعد.

المطلب الثّاني: مقتضيات تقديم المسند في سورة الرّعد.

المطلب الثّالث: تقديم متعلقات الفعل في سورة الرّعد.

التّمهيد: مفهوم التّقديم والتّأخير.

يقول عبد القاهر الجرجاني- رحمه الله- عن التّقديم والتّأخير: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، واعلم أنّ تقديم الشّيء على وجهين - تقديم يقال إنّه على نية التّأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التّقديم على حُكمه الّذي كان عليه، وفي جنسِهِ الّذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، وتقديم، لا على نية التّأخير، ولكن على أن تَنقُل الشّيء عَن حُكم إلى حكم وتجعلهُ بابًا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا"[200].

التّقديم والتّأخير يصيب التّراكيب اللغوية والجملة العربية فيختل ترتيبها الأصلي، فيقدم ما حقه التّأخير ويؤخر ما حقه التّقديم؛ لدواع تقتضي ذلك؛ فيضفي على الجملة العربية ذوقًا بلاغيًا.

فهو أسلوب فنيّ من أساليب البلاغة العربية لأنّ فيه دلالة على التّمكن من الفصاحة والقدرة العالية على حسن التّصرف في الكلام. [201]

لذا سأتطرق إلى: تقديم المسند إليه، ثم تقديم المسند، ثم تقديم متعلقات الفعل، في سورة الرّعد، وبيان دلالة كل ذلك.

---

(200) دلائل الإعجاز في علم المعاني، (ص134).

(201) اعتبر- فاضل السامرائي-"المفهوم الفعلي من حيث الدلالة اللغوية للتقديم والتأخير أنه: إذا بدأنا بكلمة سابقة على غيرها فقد قدمناها في الكلام. ويقول: التقديم نوعان أو ثلاثة، تقديم اللفظ على عامله، تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل. أنظر: أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، ص:24(محاضرات مفرغة)

المطلب الأول: تقديم المسند إليه واعتباراته وأغراضه في سورة الرّعد

لتقديم المسند إليه اعتبارات وأغراض، أذكر منها:

أولًا: التّشويق:

قال تعالى: ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ**﴾ [202].

قال الزّمخشري في تفسيره للآية: "﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾ مبتدأ، ﴿**وأُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ خبره كقوله: (والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة) ويجوز أن يكون صفة لأولى الألباب، والأوّل أوجه [203]". يقصد الآية الّتي قبلها ﴿**إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ**﴾ [204].

فعندما يستمع المؤمن قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾ يتشوق لسماع نتيجة وعاقبة ذلك الوفاء، فيكون الرّد من عند الله تعالى: ﴿**وأُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ وعندما يستمع الذي ينقض المواثيق إلى قوله تعالى: ﴿**والذين ينقضون عهد الله**﴾ يتشوق ليعرف نتيجة ذلك النقض وعاقبته، فتكون النتيجة ﴿**أولئك لهم اللعنة**﴾.

وذكر ابن عاشور: "﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ**﴾ مُسنَد إِلَيهِ وَكَذلِكَ مَا عُطفَ عَلَيهِ، وَجُمْلَة ﴿**أولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ مُسْنَد [205]".

فتأخر الخبر ﴿**وأُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ حتى جاء بعد نهاية الآيات الثلاث؛ لعدم تكراره في كل آية، وهذا يدل على بلاغة القرآن.

---

(202) سورة الرّعد، (آية 20-22).

(203) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (252/2)

(204) سورة الرعد، (آية ،19)

(205) التّحرير والتّنوير، (124/13).

والتقديم يكون له غرض بلاغي فهو الّذي يخطر أولا في الذهن، لأنّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فاستحق التّقديم وضعاً [206].

ثانيًا: إفادة التّخصيص.

للتخصيص صور ثلاث:

الأولى: أن يكون المسند اليه بعد النّفي وأن يكون المسند فعلًا.

الثّانية: أن يكون النّفي متأخرًا عن المسند إليه بغرض تقوية الحكم – تأكيده والتّنبيه على صدقه وأحقيته – وقد يفيد التّخصيص بقرائن، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم**﴾ [207]

الثّالثة: أن يكون المسند إليه مثبتًا لا منفيًا، كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنيا وَمَا الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتاعٌ**﴾ [208].

وفي الآية تقديم وتأخير، التقدير: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا. (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ) أي في جنبها. (إِلَّا مَتاعٌ) أي متاع من الأمتعة) [209]".

(206)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص 123).

(207) سورة الرّعد، (الآية 11).

(208) سورة الرّعد، (الآية 26).

(209) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 02، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية - القاهرة (9/ 314).

قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ (210).

وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التّخصيص، أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره، وهو قصر إضافي. وقد صرّح بمفهوم جملة القصر بجملة ﴿**وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ (211)، فكانت بيانًا لها.

المطلب الثّاني: مقتضيات تقديم المسند في سورة الرّعد.

المسند (هو الركن الثاني من أركان الجملة) حقه التّأخير ولكن يُقدم إذا اقتضى الحال تقديمه، ومن مقتضيات تقديمه:

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ**﴾ (212).

أفاد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي؛ لأنّ المقصود أن يعلمه النّاس ولفت العقول إليه، كما ذكر ابن عاشور في تفسيره والعبارة للسكاكيّ (ت626هـ)، كما ذكر الكشاف: أنّ التّقديم يفيد الحصر وخالفه ابن عاشور بذلك حيث قال: إذ ليس ثمة من يزعم الشّركة لله في ذلك، أو من يزعم أنّ الله لا يفعل ذلك فيقصد الرّد عليه بطريق القصر (213).

قوله تعالى ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ أُولئِكَ لَهُم سوءُ الحِسابِ وَمَأواهُم جَهَنَّمُ وَبِئسَ المِهادُ**﴾ (214).

قوله: ﴿**الحُسنى**﴾ مبتدأ و﴿**لِلَّذينَ استَجابوا**﴾ خبره، وفي العدول إلى الموصولين وصلتيهما في قوله﴿**لِلَّذينَ استَجابوا**﴾ و ﴿**وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا**﴾ إيماء إلى أنّ الصّلتين سببان لما حصل للفريقين.

---

(210) سورة الرّعد، (الآية 14).

(211) سورة الرّعد، (الآية 14).

(212) سورة الرّعد، (الآية 26).

(213) ينظر التّحرير والتّنوير، (134/13).

(214) سورة الرّعد، (آية 18).

وتقديم المسند في قوله: ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى**﴾ لأنّه الأهم لأنّ الغرض التّنويه بشأن الذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضًا [215].

وقال صاحب الكشاف "قوله ﴿**الحُسنى**﴾: مبتدأ، خبره ﴿**لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا**﴾ والمعنى: لهم المثوبة الحسنى، وهي الجنة ﴿**وَالَّذينَ لَمَ يَستَجيبوا**﴾ مبتدأ خبره. (لو) مع ما في حيزه وسُوءُ الْحِسابِ المناقشة فيه"[216]

المطلب الثّالث: تقديم متعلقات الفعل ودلالاتها في سورة الرّعد.

متعلقات الفعل – الزّمان والمكان الّذي يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال والمفعول.

قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ [217] فتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التخصيص، أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره"[218]

إنَّ تقديم المفعول وما يشبهه من المتعلقات يكون غالبًا للتخصيص إمّا للإثبات أو النّفي ويفيد أمرًا منها: حصول الفعل بلا شك، أو تعلقه بالجار والمجرور أو الظّرف أو الحال المقدم. [219]

قال تعالى: ﴿**قُل هُوَ رَبّي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ مَتابِ**﴾ [220].

وقد تقدّم الجار والمجرور في الموضعين ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ**﴾ ولم يقلْ "توكلت عليه" و"متابي إليه"؟ ذلك لإفادة الحصر والقصر.

---

(215) التّحرير والتّنوير، (13/ 134)

(216) الكشاف (524/2).

(217) سورة الرعد، (الآية 14)

(218) ينظر: التحرير والتنوير، (108/13)

(219) انظر: علم المعاني، (141/1) بتصرف

(220) سورة الرّعد، (الآية 30).

وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره "وتقديم المجرورين وهما عليه وإليه لإفادة اختصاص التّوكل والمتاب بالكون عليه، أي لا على غيره؛ لأنّه لما توحد بالرّبوبية كان التّوكل عليه، ولما اتصف بالرّحمانية كان المتاب إليه، لأنّ رحمانيته مظنة لقبوله توبة عبده."[221]

ومن نحو هذا مما وقع في هذه السورة قوله تعالى (قُل **إِنَّمَا أُمِرتُ أَن أَعبُدَ اللَّهَ وَلا أُشرِكَ بِهِ إِلَيهِ أَدعو وَإِلَيهِ مَآبِ**﴾ [222] تقديم المجرور في الموضعين للاختصاص، أي إليه لا إلى غيره أدعو، أي بهذا القرآن، وإليه لا إلى غيره مئابي"[223]

قوله تعالى" ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَستَ مُرسَلًا**﴾ [224].

جاء فعل القول مضارعًا (يقول) مع أنّه صدر عن الكافرين في وقت مضى وانقضى ولم يأت ماضيًا، ذلك لأنّ صيغة المضارع تدل على تكرار هذا الفعل منهم، واستمرارهم في غيّهم وإصرارهم على تكذيب النّبي ﷺ رغم ما رأوا من دلائل على صدقه، وفي ذلك استحضار لحالتهم العجيبة الّتي كانوا عليها واستمروا بها.

وقال ابن عاشور "وقد حكي قولهم بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم ولاستحضار حالهم العجيبة من الاستمرار على التّكذيب بعد أن رأوا دلائل الصّدق"[225].

(221) ينظر: التّحرير والتّنوير، (142/13).

(222) سورة الرعد، (آية 36)

(223) ينظر: التحرير والتنوير، (159/13)

(224) سورة الرّعد، (الآية 43).

(225) ينظر، التّحرير والتّنوير، (175/13).

المبحث الثّالث: تطبيقات التّعريف والتّنكير ودلالاتها في سورة الرّعد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب التّعريف ودلالته في سورة الرّعد.

المطلب الثّاني: أسلوب التّنكير ودلالته في سورة الرّعد.

المطلب الأول: أسلوب التّعريف ودلالته في سورة الرّعد.

الاسم النكرة في اللغة العربية هو أصلٌ للمعرفة ومقدمٌ عليه، وتتفاوت النكرات فيما بينها، فالاسم الأكثر عمومًا أنكر من غيره، فكلمة إنسان هي أنكر من كلمة رجل؛ لأن كل رجل إنسان وليس العكس، وعلى النقيض تمامًا كلما كان الاسم المعرفة أخص كان أعرف، وتتفاوت المعارف في العربية، فأعرف المعارف هو المضمر (226).

وتتصل سياقات التعريف والتنكير بمقامات الكلام، فالتعريف بالضمائر يدل على عموم الحاضر أو الغائب، ويلزم من سياق التكلم ضمير المتكلم، وضمير المخاطب قد ينتقل إلى سياق عمومي، وعندما يرتبط الكلام بإرادة إحضار العلم في ذهن السامع لزم من ذلك الأمر التعريف بالعلمية، وإذا أردنا تنبيه المخاطب لزم التعريف بالأسماء الموصولة، والتعريف بالإشارة يربط بين قصد المتكلم وطبيعة المخاطب وحسية المشار إليه، أمّا التعريف بالألف واللام يعطينا دلالة العموم والاستغراق؛ لأنها ارتبطت بالمفردة التي أصلها في الوضع نكرة (227).

المسند إليه المعرفة:

التّعريف والتّنكير له أغراضه البلاغية وأهداف تتعلق بالمعنى.

والتّعريف يكون بالعلمية والضّمير و(أل) واسم الموصول، واسم الإشارة والإضافة و(أل) تكون للعهد أو الجنس أو لأغراض أخرى تُلمح من السّياق.

وفي ذلك يقول المراغي: "كلّ من النّكرة والمعرفة يدلّ على معيّن، وإلّا امتنع الفهم"(228).

---

(226) ينظر: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: 643هـ) شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 01، 1422 هـ - 2001 م. (350/3).

(227) ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2005م)،(ص139)

(228) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، (ص112).

ومما جاء في سورة الرعد من تطبيقات التعريف، التعريف بالموصول نحو قوله تعالى: ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ**﴾ (229).

وقد سبق وأشرت؛ أن التعريف بالموصول يأتي للتنبيه على أهمية وشهرة المعرف، ممن ينبغي أن يتصفوا بمثل هذه الصفات؛ كالوفاء بالعهد، وصلة الرحم .... الخ.

وفي المقابل! ذكر الله تعالى الصفات المضادة بنفس أسلوب التعريف بالموصول؛ للدلالة على ضرورة ترك هذه الصفات، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللَّهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ فِي الأَرضِ**﴾ (230)

وقد كثر التعريف بالموصول في هذه السورة للغرض ذاته، في نحو قول الله تعالى **الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ**﴾ (231) وقوله ﴿**وَالَّذينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَفرَحونَ بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَمِنَ الأَحزابِ مَن يُنكِرُ بَعضَهُ**﴾ (232)

التّعريف بالضّمير: والضّمير إمّا للمتكلم أو للمخاطب أو الغائب.

ضمير المخاطب يكون على سبيل البدلية بمعنى لمن تخاطب الآن ولمن خاطبت بالأمس ولمن يخاطب غدًا، والأصل في الخطاب أن يكون لمعيّن وقد يكون لغير معين.

ضمير الشّأن: وهو ما يدل على غرابة، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت**﴾ (233).

---

(229) سورة الرّعد، (الآية 20-22).

(230) سورة الرعد، (الآية 25)

(231) سورة الرعد، (الآية 28)

(232) سورة الرعد، (الآية 36)

(233) سورة الرّعد، (الآية 33).

العدول عن اسم الجلالة إلى الموصول في قوله: ﴿**أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ**﴾؛ لأنّ في الصّلة دليلًا على انتفاء المساواة، وتخطئة لأهل الشّرك في تشريك آلهتهم لله تعالى في الإلهية، ونداء على غباوتهم إذ هم معترفون بأنّ الله هو الخالق. والمقدر باعتقادهم ذلك هو أصل إقامة الدّليل عليهم بإقرارهم ولما في هذه الصّلة من التّعريض. كما ذكر ابن عاشور في تفسيره [234].

وأنه خالق جميع العوالم وأعراضها؛ قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ**﴾ [235]

وكذلك في قوله ﴿**هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ**﴾ [236]

وفي قوله تعالى: ﴿**وَهُم يُجادِلونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَديدُ المِحالِ**﴾ [237] مفعول يجادلون هو النّبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون. فالتقدير: يجادلونك أو يجادلونكم"[238]

التّعريف باسم الإشارة: للتعريف باسم الإشارة دواع وأهداف بيانية يمكن أن تتلمس في الكلام الجيد وان تستنتج من السّياق ومن هذه الأغراض:

- أن يسبق اسم الإشارة أوصاف، ويليه مآثر، كما في قوله تعالى ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ**﴾ [239].

(234) ينظر التّحرير والتّنوير، (149/13).

(235) سورة الرعد، (الآية 3)

(236) سورة الرعد، (الآية 12)

(237) سورة الرعد، (الآية 13)

(238) ينظر: التحرير والتنوير، (105/13)

(239) سورة الرّعد، (الآية 20-22).

كلّ هذه الأوصاف تجعل لهم جزاء الفوز بالجنّة كما قال ابن عاشور "اجتلاب اسم الإشارة أولئك لهم عقبى الدّار؛ للتنبيه على أنّ المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجلّ الأوصاف الّتي قبل اسم الإشارة [240]".

أيضًا يتكرر اسم الإشارة للتهويل، قال تعالى ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ أُولئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم وَأُولئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ**﴾ [241].

نرى اسم الإشارة (أولئك) تكرر ثلاثًا؛ للتهويل وختم الآية بجملة ﴿**هُم فيها خالِدونَ**﴾ بيان لجملة أصحاب النّار.

- **التّعظيم**: اسم الإشارة يستعمل للبعيد والقريب وقد جاء ببداية السّورة بلفتة بيانية في قوله تعالى ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ**﴾ [242].

اسم الإشارة (**تِلكَ**) يحتمل أن يشير إلى الأحرف في بداية السّورة (**المر**) والمعنى أنّ هذه الأحرف منها نظم هذا القران وهي إشارة للتعظيم والتّحدي.

ذكر ابن عاشور "والمعنى تلك الحروف آيات الكتاب الحكيم، أي من جنسها حروف الكتاب الحكيم، أي جميع تراكيبه من جنس تلك الحروف، والمقصود تسجيل عجزهم عن معارضته بأنّ آيات الكتاب الحكيم كلّها من جنس حروف كلامهم، وكذلك تحمل معنى آخر.

تلك آيات الكتاب الحكيم اسم الإشارة يجوز أن يكون مرادًا به جميع آي القرآن الّتي نزلت قبل هذه السّورة باعتبار حضور تلك الآيات في أذهان النّاس من المؤمنين وغيرهم، فكأنّها منظورة مشاهدة، فصحت الإشارة إليها إذ هي متلوة محفوظة فمن شاء أن يسمعها ويتدبرها أمكنه"[243]

---

(240) التّحرير والتّنوير، (124/13).

(241) سورة الرّعد، (الآية 5).

(242) سورة الرّعد، (الآية 1).

(243)التّحرير والتّنوير، (80/11). بتصرف

- **التّعريض بالمخاطب**: ومنه قوله تعالى ﴿**الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ طوبى لَهُم وَحُسنُ مَآبٍ**﴾ [244].

ذكر ابن عاشور أنّ المعنى فيه تعريض للذين كفروا، حيث قال: "استئناف اعتراضي مناسبته المضادة لحال الّذين أضلهم الله، والبيان لحال الّذين هداهم مع التّنبيه على أنّ مثال الّذين ضلوا هو عدم اطمئنان قلوبهم لذكر الله، وهو القرآن؛ لأنّ قولهم: لولا أنزل عليه آية من ربه يتضمن أنّهم لم يعدوا القرآن آية من الله، ثم التّصريح بجنس عاقبة هؤلاء، والتّعريض بضد ذلك لأولئك، فذكرها عقب الجملة السّابقة يفيد الغرضين ويشير إلى السّببين. ولذلك لم يجعل (الّذين آمنوا) بدلًا من (من أناب)؛ لأنّه لو كان كذلك لم تعطف على الصّلة جملة وتطمئن قلوبهم ولا عطف وعملوا الصّالحات على الصلة الثّانية. فـ "الّذين آمنوا" الأول مبتدأ، وجملة "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" معترضة و﴿**الّذين آمنوا**﴾ الثّاني بدل مطابق من ﴿**الّذين آمنوا**﴾ الأول، وجملة "طوبى لهم" خبر المبتدأ [245]".

التّعريف بالاسم الموصول: له أغراض كثيرة يؤتى من أجلها منها:

أولًا: قصد التّعظيم والحث عليه: قال تعالى ﴿**اللَّهُ الّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها**﴾ [246].

وجعل اسم موصول لكون الصّلة معلومة الدّلالة على أنّ من تثبت له هو المتوحد بالرّبوبية؛ إذ لا يستطيع مثل تلك الصّلة غير المتوحد؛ ولأنّه مسلم له ذلك [247].

ثانيًا: تفخيم الأمر: ومثاله قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ**﴾ [248].

---

(244) سورة الرّعد، (الآية 28- 29).

(245) التّحرير والتّنوير، (13/ 137)

(246) سورة الرّعد، (الآية 2).

(247) التّحرير والتّنوير، (13 /80)

(248) سورة الرّعد (الآية 8).

وهنا نكتة عظيمة للغرض من الاسم الموصول.

"ما تحمل كل أنثى هي أجنة الإنسان والحيوان، ولذلك جيء بفعل الحمل دون الحبل لاختصاص الحبل بحمل المرأة، وما موصولة، وعمومها يقتضي علم الله بحال الحمل الموجود من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقص، وحسن وقبح، وطول وقصر، ولون، والازدياد: التّعدد أي ما يكون في الأرحام من جنين واحد أو عدة أجنة وذلك في الإنسان والحيوان [249]".

ثالثًا: الإيماء والإشارة الى معرفة الخبر: وهو كما قال الشّيخ فضل عباس: وهو قريب مما يسمونه براعة الاستهلال ومعنا هذا أن يذكر المتكلم شيئًا في أول حديثه يدرك الفطن ما سيجيئ بعده [250].

ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ أُولئِكَ لَهُم سوءُ الحِسابِ وَمَأواهُم جَهَنَّمُ وَبِئسَ المِهادُ**﴾ [251].

جاء في تفسير ابن عاشور: "استئناف بياني لجملة كذلك يضرب الله الأمثال، أي فائدة هذه الأمثال أنّ "للذين استجابوا لربهم "حين يضربها "لهم الحسنى" إلى آخره.

فمناسبته لما تقدم من التّمثيلين أنّهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين، ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين لأنّ المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى، وأمّا المشركون فأعرضوا ولم يعقلوا الأمثال.

وتقديم المسند في قوله: ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى**﴾؛ لأنّه الأهم؛ لأنّ الغرض التّنويه بشأن الّذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضًا."[252]

---

(249) التّحرير والتّنوير (13/ 97)

(250) البلاغة فنونها وافنانها، (ص322).

(251) سورة الرّعد، (الآية 18).

(252) ينظر، التّحرير والتّنوير (122/13).

التّعريف بـ (ال) وهي على قسمين: إمّا للعهد، وإمّا للجنس.

قال تعالى: ﴿وَأُولَـئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعنَاقِهِم وَأُولَـئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ﴾ (253).

قال ابن عاشور: "﴿**الأَغْلالُ فِي أَعنَاقِهِم**﴾ وعيد بسوقهم إلى الحساب سوق المذلة والقهر، وكانوا يضعون الأغلال للأسرى المثقلين"(254).

قوله تعالى ﴿**وَمَا تَغِيضُ الأَرحَامُ وَمَا تَزدادُ**﴾ (255). وردت اللام للاستغراق في لفظ (**الأَرحامُ**) وهو استغراق حقيقي يشمل كلّ الأرحام.

قال الشوكاني: "أي يعلم الذي تغيضه الأرحام: أي تنقصه، ويعلم ما تزداده"(256).

إذن هي للدلالة على جميع الأرحام في الانسان والحيوان.

---

(253) سورة الرّعد، (الآية 5).

(254) التحرير والتنوير، (13/ 91)

(255) سورة الرّعد، (الآية 8).

(256) فتح القدير للشوكاني، (3/ 82)

المطلب الثّاني: أسلوب التّنكير ودلالته في سورة الرّعد.

التّنكير ينافي الاختصاص الّذي يفيد التّعريف؛ وقد وردت صيغ التنكير في سورة الرعد لأغراض، منها التكثير والتعظيم أو التفخيم والتعظيم. من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ [257].

ورد لفظ (**بِرُسُلٍ**) ولم يرد بالرُّسل للتعظيم، بعد الفعل المبني للمجهول وهو استهزئ ليؤكد ويبين جهل الّذين كذبوا بالرّسل ذلك لكثرتهم وعظيم شأنهم، وأنّهم يستحقون كل التقدير والاحترام والاتباع.

قال الشوكاني: "التنكير في رسل للتكثير، أي: برسل كثيرة"[258].

وقوله تعالى: ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ**﴾ [259].

تنكير عذاب للتعظيم، وهو عذاب القتل والخزي والأسر.

قال الزمخشري: "وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن، ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر، ولذلك سماه عذابا وَما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ، وما لهم من حافظ من عذابه، أو ما لهم من جهته واق من رحمته"[260].

ونحو ذلك قوله تعالى ﴿ **وَلَقَد أَرسَلنا رُسُلًا مِن قَبلِكَ وَجَعَلنا لَهُم أَزواجًا وَذُرِّيَّةً وَما كانَ لِرَسولٍ أَن يَأتِيَ بِآيَةٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ**﴾ [261] والتنكير في ﴿**رُسُلًا**﴾ للتكثير؛ والأزواج: جمع زوج، وهو من مقابلة الجمع بالجمع، فقد يكون لبعض الرسل زوجة واحدة مثل: نوح ولوط- عليهما السلام-، وقد يكون للبعض عدة زوجات مثل: إبراهيم وموسى وداود وسليمان- عليهم السلام-ولما كان المقصود من الرد هو عدم منافاة اتخاذ الزوجة لصفة الرسالة لم يكن داع إلى تعداد بعضهم زوجات كثيرة"[262].

---

(257) سورة الرّعد، (الآية 32).

(258) فتح القدير للشوكاني، (3/ 101).

(259) سورة الرّعد، (آية 34).

(260) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (2/ 532).

(261) سورة الرعد، (الآية 38)

(262) ينظر: التحرير والتنوير، (163/13)

التّنكير للتنويع: وذلك في قوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ**﴾ (263).

يقول القشيري في تفسيره:"بسط الأرض ودحاها، والجبال أرساها، وفجّر عيونها، وأجرى أنهارها، وجنّس بحارها، ونوّع من الحيوانات ما جعل البحر قرارها، وأنبت أشجارها، وصنّف أزهارها وثمارها، وكوّر عليها ليلها ونهارها"(264).

وتنكير "زوجين" للتنويع، أي جعل زوجين من كل نوع (265).

قال تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا وَمِمّا يوقِدونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ أَو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ**﴾ (266). قال المراغي: " أي أنزل من السحاب مطرًا فسالت مياه الأودية بحسب مقدارها في الصغر والكبر، فحمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدًا عاليًا مرتفعًا فوقه طافيًا عليه- وهذا هو المثل الأول الذي ضربه الله للحق والباطل والإيمان والكفر"(267).

تعريف "السّيل"؛ لأنّه قد فُهِم من الفعل قبله وهو قوله تعالى: ﴿**فَسالَتْ**﴾ وهو لو ذُكر لكان نكرة فلمّا أُعيد، أعيد معرفة"(268).

التّقييد بشرط: إنّ الجملة الشّرطية هي جملتان في الحقيقة إحداهما فعل الشّرط والأخرى جوابه وجزاؤه، والّذي يوصف بالخبر والإنشاء هو الشّرط والجواب معًا.

كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَومٍ سوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُم مِن دونِهِ مِن وال**﴾ (269).

---

(263) سورة الرّعد، (الآية 3).

(264) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط:03، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (2/ 216).

(265) التّحرير والتّنوير، (84/13)

(266) سورة الرّعد، (الآية 17).

(267) تفسير المراغي، (13/ 88).

(268) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (114/5).

(269) سورة الرّعد، (الآية 11).

كذلك قال تعالى ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ [270]. للدلالة على عموم الآيات الحسية التي طلبها المشركون من ربهم من غير القران الكريم. لولا حرف تحضيض، يموهون بالتّحضيض أنّهم حريصون وراغبون في نزول آية غير القرآن ليؤمنوا... وقد ردّ الله اقتراحهم من أصله بقوله: ﴿**إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ فقصر النّبيء ﷺ على صفة الإنذار وهو قصر إضافي، أي أنت منذر لا موجد خوارق عاده. وبهذا يظهر وجه قصره على الإنذار دون البشارة؛ لأنّه قصر إضافي بالنّسبة لأحواله نحو المشركين.

وجملة ﴿**وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ تذييل بالأعم، أي ﴿**إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ لهؤلاء لهدايتهم، ﴿**وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ أرسله الله ينذرهم لعلهم يهتدون.

وبهذا العموم الحاصل بالتّذييل والشّامل للرسول ﷺ صار المعنى ﴿**إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ لقومك هاد إياهم إلى الحق، فإنّ الإنذار والهدى متلازمان فما من إنذار إلا وهو هداية وما من هداية إلا وفيها إنذار، والهداية أعم من الإنذار ففي هذا احتباك[271] بديع [272]".

قال تعالى ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ**﴾ [273].

بيّن ابن عاشور الغرض من تقديم الخبر بقوله: "﴿**الحُسنى**﴾ مبتدأ و﴿**لِلَّذينَ استَجابوا**﴾ خبره، وفي العدول إلى الموصولين وصلتيهما في قوله ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا**﴾ و ﴿**وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا**﴾ إيماء إلى أنّ الصّلتين سببان لما حصل للفريقين.

وتقديم المسند في قوله: للذين استجابوا لربهم الحسنى؛ لأنّه الأهمّ؛ لأنّ الغرض التّنويه بشأن الّذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضًا"[274].

---

(270) سورة الرّعد، (الآية 7).

(271) الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله: عَلفتها تِبْنًا وماءً باردًا. أي: علفتها تِبْنًا، وسقيتها ماءً باردًا (انظر: كتاب التعريفات،(12/1) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)،ط1، 1403هـ -1983مدار الكتب العلمية بيروت -لبنان)

(272) التّحرير والتّنوير، (95/13).

(273) سورة الرّعد، (الآية 18).

(274) التّحرير والتّنوير، (122/13).

المبحث الرّابع: تطبيقات الفصل والوصل ودلالاتها في سورة الرّعد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الفصل والوصل في سورة الرّعد.

المطلب الثّاني: مواطن الوصل في سورة الرّعد.

المطلب الأول: أسلوب الفصل في سورة الرّعد.

تعريف الفصل والوصل:

الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتَّهَدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها. (275).

وارتبط مصطلح الوصل والفصل عند النحويين بمصطلح العطف، ويعرف الوصل بأنّه: عطف بعض الجمل على بعض، وعلى النقيض منه الفصل"(276).

يقول عبد القاهر الجرجاني: "وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لمعاني البلاغة "(277).

وقال الهاشمي: "الوصل جمع وربط بين جملتين (بالواو خاصة) لصلة بينهما في الصّورة والمعنى: أو لدفع اللبس، والفصل: ترك الرّبط بين الجملتين، إما؛ لأنّهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما؛ لأنّه لا صلة بينهما في الصّورة أو في المعنى بلاغة الوصل"(278).

ومن الأغراض البلاغية للفصل في سورة الرعد:

قوله تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ**﴾ (279).

فجملة ﴿**تِلكَ آياتُ الكِتابِ**﴾ جاءت عقب قوله ﴿**المر**﴾ ومعنى هذه الحروف أنّ القرآن الكريم يتكون من هذه الحروف الّتي تنطقون بها وجملة ﴿**وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ تأكيد أنّه آيات الكتاب وهو حق. (280)

(275) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، (ص 179) بتصرف

(276)الإيضاح في علوم البلاغة، (ص97).بتصرف

(277) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص222).

(278)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ص179). بتصرف

(279) سورة الرّعد، (الآية 1).

(280) انظر : التحرير والتنوير، (82/11) بتصرف

قال الشوكاني: " والإشارة بقوله: تلك إلى آيات هذه السورة، والمراد بالكتاب السورة، أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة الشأن [281]".

وقال تعالى: ﴿**وَقَد مَكَرَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم فَلِلَّهِ المكرُ جَميعًا يَعلَمُ ما تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ**﴾ [282].

فالمعنى كما بيّنه ابن عاشور: "مكر هؤلاء ومكر الّذين من قبلهم وحل العذاب بالّذين من قبلهم فمكر الله بهم وهو يمكر بهؤلاء مكرا عظيما كما مكر بمن قبلهم.... وجملة﴿ **يَعلَمُ ما تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ**﴾ بمنزلة العلة لجملة فلله المكر جميعا، لأنّه لما كان يعلم ما تكسب كل نفس من ظاهر الكسب وباطنه كان مكره أشد من مكر كل نفس لأنّه لا يفوته شيء مما تضمره النّفوس من المكر فيبقى بعض مكرهم دون مقابلة بأشدّ منه فإنّ القوي الشّديد الّذي لا يعلم الغيوب قد يكون عقابه أشد ولكنه قد يفوقه الضّعيف بحيلته."[283]

كما قال تعالى: ﴿**يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ**﴾ [284]كمال الاتصال: وهو أن تقع الجملة الثّانية بدلًا من الجملة الأولى: وهو على قسمين: بدل بعض من الكل وبدل اشتمال، كقوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ**﴾ [285].

هنا يظهر بدل بعض من الكل وهو ما كان المبدل جزءًا من المبدل منه فتفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر فهو بدل بعض من كلّ.

كذلك لو تأملت قوله تعالى: ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ ﴿٦﴾ وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ [286].

---

(281) فتح القدير للشوكاني، (3/ 76). بتصرف

(282) سورة الرّعد، (الآية 42).

(283) التّحرير والتّنوير، (174/13).

(284) سورة الرّعد، (الآية 39).

(285) سورة الرّعد (الآية 2).

(286) سورة الرّعد، (الآية 6- 7).

فجملة ﴿وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ﴾ عطف على وجملة ﴿وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الآية.

قال تعالى: ﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيهِ إِلَى الماءِ لِيَبلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوعًا وَكَرهًا وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصالِ﴾ (287).

جملة ﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ﴾ عطف على جملة ﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ﴾.

ورد بتفسير ابن عاشور: " أي له دعوة الحقّ وله يسجد من في السّماوات والأرض وذلك شعار الإلهية، فأمّا الدّعوة فقد اختص بالحقة منها دون الباطلة، وأمّا السّجود وهو الهويُّ إلى الأرض بقصد الخضوع فقد اختص الله به على الإطلاق؛ لأنّ الموجودات العليا والمؤمنين بالله يسجدون له، والمشركين لا يسجدون للأصنام ولا لله تعالى، ولعلهم يسجدون لله في بعض الأحوال (288)".

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ ﴿٣٨﴾ يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾ (289).

فجملة ﴿يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا؛ لأنّ جملة ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾ تقتضي أنّ الوعيد كائن وليس تأخيره مزيلا له. ولما كان في ذلك تأييس للناس عقب بالإعلام بأنّ التّوبة مقبولة وبإحلال الرّجاء محل اليأس، فجاءت جملة يمحوا الله ما يشاء ويثبت احتراسًا." (290)والاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام.(291)

(287) سورة الرّعد، (الآية 14- 15).

(288) التّحرير والتّنوير، (110/13).

(289) سورة الرّعد (الآية 38- 39).

(290) التّحرير والتّنوير، (13/ 164)

(291) ينظر: التعريفات (13/1)

ثاني موجبات الفصل: شبه كمال اتصال: وهو أن تأتي الجملة الثّانية جوابا على سؤال فهم من الجملة الأولى.

قال تعالى ﴿**يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ**﴾ (292).

قوله (**لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ**﴾ كأنّه جواب لسؤال مقدر وهو: لم كل هذا؟ ومن أجل من؟

قال تعالى: ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾ (293).

موقع هذه الجملة استئناف بياني لأنّ مضمونها بمنزلة النّتيجة لعموم علم الله تعالى بالخفيات والظّواهر، وعَدَلَ عن الغيبة المتبعة في الضّمائر فيما تقدم إلى الخطاب هنا في قوله: ﴿**سَواءٌ مِنكُم**) لأنّه تعليم يصلح للمؤمنين والكافرين (294).

قوله تعالى: ﴿**كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الأَمثالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ أُولئِكَ لَهُم سوءُ الحِسابِ وَمَأواهُم جَهَنَّمُ وَبِئسَ المِهادُ**﴾ (295).

قوله ﴿**لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ**﴾ استئناف بياني لجملة ﴿**كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الأَمثال**).

وقد بين ذلك ابن عاشور ".. فائدة هذه الأمثال أنّ للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى إلى آخره، فمناسبته لما تقدم من التّمثيلين أنّهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين. ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين لأنّ المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى، وأما المشركون فأعرضوا ولم يعقلوا الأمثال"(296)

---

(292) سورة الرّعد، (الآية 2).

(293) سورة الرّعد، (الآية 10).

(294) ينظر: التّحرير والتّنوير، (99/13).

(295) سورة الرّعد، (الآية 17- 18).

(296) التّحرير والتّنوير، (122/13).

قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنيا وَمَا الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتاعٌ**﴾ (297).

هذه الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا جوابًا عما يهجس في نفوس السّامعين من المؤمنين والكافرين من سماع قوله تعالى: ﴿**أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدّار**﴾ ... المفيد أنّهم مغضوب عليهم، فأمّا المؤمنون فيقولون: كيف بسط الله الرّزق لهم في الدّنيا فازدادوا به طغيانًا وكفرًا وهلا عذّبهم في الدّنيا بالخصاصة كما قدّر تعذيبهم في الآخرة، وأمّا الكافرون فيسخرون من الوعيد مزدهين بما لهم من نعمة. فأجيب الفريقان بأنّ الله يشاء بسط الرّزق لبعض عباده ونقصه لبعض آخر لحكمة متصلة بأسباب العيش في الدّنيا، ولذلك اتصال بحال الكرامة عنده في الآخرة، ولذلك جاء التّعميم في قوله: لمن يشاء، ومشيئته تعالى وأسبابها لا يطّلع عليها أحد. (298)

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم**﴾ (299).

جملة ﴿**قُل سَمّوهُم**﴾ استئناف أعيد معها الأمر بالقول؛ لاسترعاء الأفهام لوعي ما سيذكر، وهذه كلمة جامعة، أعني جملة سمّوهم، وقد تضمنت ردًّا عليهم. فالمعنى: سمّوهم شركاء فليس لهم حظّ إلّا التّسمية، أي دون مسمّى الشّريك، فالأمر مُستعمل في معنى الإباحة كناية عن قلّة المبالاة بادعائهم أنّهم شركاء. (300)

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُم عَذابٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَما لَهُم مِنَ اللَّهِ مِن واقٍ**﴾ (301).

---

(297) سورة الرّعد، (الآية 25- 26).

(298) ينظر: التّحرير والتّنوير، (134/13).

(299) سورة الرّعد، (الآية 33).

(300) التّحرير والتّنوير، (151/13).

(301) سورة الرّعد، (الآية 33- 34).

قوله ﴿**لَهُم عَذابٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا**﴾ الآية استئناف بيانيّ نشأ عن قوله: ﴿**وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ**(لأنّ هذا التّبديد يومئ إلى وعيد يسأل عنه السّامع. وفيه تكملة للوعيد المتقدم في قوله: ولا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة مع زيادة الوعيد بما بعد ذلك في الدّار الآخرة. (302)

من موجبات الفصل كمال الانقطاع: وهو أن يكون بين الجملتين كمال انقطاع ويكون بإحدى طريقتين: الأولى اختلاف الجملتين خبرًا وانشاء الثّانية: أن تتفقا ولكن ألا يكون بينهما جامع ولا رابط.

قال تعالى: ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّباتٌ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ يَحفَظونَهُ مِن أَمرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَومٍ سوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُم مِن دونِهِ مِن والٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِن خيفَتِهِ وَيُرسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بِها مَن يَشاءُ وَهُم يُجادِلونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَديدُ المِحالِ**﴾(303).

قوله تعالى ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ**﴾ الآية استئناف ابتدائي على أسلوب تعداد الحجج الواحدة تلوَ الأخرى، فلأجل أسلوب التّعداد إذ كان كالتّكرير لم يعطف على جملة ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ**﴾ وقد أعرب هذا عن مظهر من مظاهر قدرة الله وعجيب صنعه. وفيه من المناسبة للإنذار بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ**﴾ إلخ أنّه مثال لتصرف الله بالإنعام والانتقام في تصرف واحد مع تذكيرهم بالنّعمة الّتي هم فيها.

وجاء هنا بطريق الخطاب على أسلوب قوله: ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ**)؛ لأنّ الخوف والطّمع يصدران من المؤمنين ويهدد بهما الكفرة.

---

(302) التّحرير والتّنوير، (154/13).

(303) سورة الرّعد، (الآية 10- 13).

وَافْتُتِحَتِ الْجُمْلَةُ بِضَمِيرِ الْجَلَالَةِ دُونَ اسْمِ الْجَلَالَةِ الْمُفْتَتَحِ بِهِ فِي الْجُمَلِ السَّابِقَةِ، فجاءت على أسلوب مختلف، وأحسب أنّ ذلك مراعاة لكون هاته الجملة مفرعة عن أغراض الجمل السّابقة فإنّ جمل فواتح الأغراض افتتحت بالاسم العلم. (304).

المطلب الثاني: مواطن الوصل في سورة الرعد:

قال تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ (305).

في هذه الآية نرى عطف جملة ﴿**وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ**﴾ على ﴿**تِلكَ آياتُ الكِتابِ**). وقوله: ﴿**وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ يجوز أن يكون عطفًا على جملة تلك آيات الكتاب؛ فيكون قوله: ﴿**وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ**﴾ إظهار في مقام الإضمار، ولم يكتف بعطف خبر على خبر اسم الإشارة بل جيء بجملة كاملة مبتدئة بالموصول للتعريف بأنّ آيات الكتاب منزلة من عند الله لأنّها لما تقرر أنّها آيات استلزم ذلك أنّها منزلة من عند الله ولولا أنّها كذلك لما كانت آيات. (306)

لنتأمل قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ**﴾ (307).

فقوله ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ**﴾ عطف على جملة ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ**)، فبين الجملتين شبه

(304) ينظر: التّحرير والتّنوير، (103/13).

(305) سورة الرّعد، (الآية 1).

(306) التّحرير والتّنوير، (78/13).

(307) سورة الرّعد، (الآية 2- 3).

التّضـاد، اشـتملت الأولى علـى ذكـر العـوالم العلويـة وأحوالهـا، واشـتملت الثّانيـة علـى ذكـر العـوالم السّفلية، والمعنى: أنّه خالق جميع العوالم وأعراضها (308).

قولـه تعـالى ﴿**وَهُـوَ الَّـذي مَـدَّ الأَرضَ وَجَعَـلَ فيهـا رَواسِـيَ وَأَنهـارًا وَمِـن كُـلِّ الثَّمَـراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ (309).

فقولـه: ﴿**يُغشِـي اللَّيـلَ النَّهـارَ إِنَّ في ذلِـكَ لَآياتٍ لِقَـومٍ يَتَفَكَّـرونَ**﴾ جملـة يغشـي حـال من ضمير جعل، وجيء فيه بالمضارع لما يدل عليه من التّجدد (310).

قولـه تعـالى: ﴿**وَفِي الأَرضِ قِطَـعٌ مُتَجـاوِراتٌ وَجَنّـاتٌ مِـن أَعنـابٍ وَزَرعٌ وَنَخيـلٌ صِـنوانٌ وَغَـيرُ صِـنوانٍ يُسـقى بِمـاءٍ واحِـدٍ وَنُفَضِّـلُ بَعضَـها عَلـى بَعـضٍ فِي الأُكُـلِ إِنَّ في ذلِـكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ (311).

هـذه الآيـة معطوفـة علـى مـا قبلهـا ممـا جعـل الله في الأرض لخدمـة الإنسـان مـن جبـال راسـخات ينحـدر عنهـا مـاء المطـر ليجـري في اوديـه وأنهـار ويسـتعمل الإنسـان المـاء والأرض؛ ليزرع (312).

وقـد وضـح ابـن عاشـور قـائلًا: "لله بلاغـة القـرآن في تغيـير الأسـلوب عنـد الانتقـال إلى ذكـر الـنّعم الدّالـة علـى قـدرة الله تعـالى فيمـا ألهـم النّـاس مـن العمـل في الأرض بفلحهـا وزرعهـا وغرسـها والقيـام عليهـا، فجـاء ذلـك معطوفـا علـى الأشـياء الّـتي أسـند جعلهـا إلى الله تعـالى، ولكنـه لم يسـند إلى الله حـتى بلـغ إلى قولـه: ونفضـل بعضـها علـى بعـض في الأكـل؛ لأنّ ذلـك بأسـرار أودعهـا الله تعـالى فيهـا هـي موجـب تفاضـلها. وأمثـال هـذه العـبر، ولفـت النّظـر ممـا انفـرد بـه القـرآن من بين سائر الكتب"(313).

---

(308) ينظر: التّحرير والتّنوير، (82/13).

(309) سورة الرّعد، (الآية 3).

(310) التّحرير والتّنوير، (84/13).

(311) سورة الرّعد، (الآية 4).

(312) التّحرير والتّنوير، (13/ 86)

(313) نفس المصدر، (86/13)

قال تعالى ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُرابًا أَإِنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ أُولئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم وَأُولئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ**﴾ (314).

جملة ﴿**وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ قَولُهُم**﴾ عطف على جملة ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ**﴾ فلما قضي حق الاستدلال على الوحدانية نقل الكلام إلى الرّد على منكري البعث وهو غرض مستقل مقصود من هذه السّورة (315)".

قال تعالى ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ**﴾ (316).

جملة ﴿**وَيَستَعجِلونَكَ**﴾ عطف على جملة ﴿**وَإِن تَعجَب**﴾؛ لأنّ كلتا الجملتين حكاية لغريب أحوالهم في المكابرة والعناد والاستخفاف بالوعيد، وجملة وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم عطف على جملة وقد خلت من قبلهم المثلات، وهذا كشف لغرورهم بتأخير العذاب عنهم؛ لأنّهم لما استهزأوا بالنّبيء ﷺ وتعرضوا لسؤال حلول العذاب بهم ورأوا أنّه لم يعجل لهم حلوله اعترتهم ضراوة بالتّكذيب وحسبوا تأخير العذاب عجزًا من المتوعد وكذبوا بالنّبي ﷺ وهم يجهلون أنّ الله حليم يمهل عباده لعلهم يرجعون"(317).

هذه بعض النماذج لمواطن الفصل والوصل، في سورة الرعد، والواقع أن الأمثلة أكثر من ذلك من حيث العلاقات بين جمل هذه السورة، تجنبت الخوض فيها؛ خشية الإطالة.

---

(314) سورة الرّعد، (الآية 5).

(315) التّحرير والتّنوير، (89/13)

(316) سورة الرّعد، (الآية 6).

(317) انظر: التّحرير والتّنوير، (93/13). بتصرف

المبحث الخامس: أسلوب الإيجاز والإطناب ودلالاتها في سورة الرّعد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيجاز ودلالاته في سورة الرعد

المطلب الثاني: الإطناب ودلالاته في سورة الرعد

المطلب الأول: الإيجاز ودلالته في سورة الرعد

الإيجـاز: كمـا عرّفـه الرّمـاني [318]: "تقليـل الكـلام مـن غـير إخـلال بالمعـنى، وإذا كـان المعـنى يمكـن أن يعـبّر عنـه بألفـاظ كثـيرة ويمكـن أن يعـبّر عنـه بألفـاظ قليلـة، فالألفـاظ القليلـة إيجـاز، والإيجـاز علـى وجهـين: حـذف، وقصـر، فالحـذف إسـقاط كلمـة للاجتـزاء عنهـا بدلالـة غيرهـا مـن الحـال أو فحـوى الكـلام، والقصـر بُنيـة الكـلام علـى تقليـل اللفـظ وتكثـير المعـنى مـن غـير حذف"[319].

وتطبيق ذلك مما ورد في سورة الرعد:

أولاً: إيجـاز الحـذف: ومنـه مـا ورد في قولـه تعـالى: ﴿**وَهُـوَ الَّـذي مَـدَّ الأَرضَ وَجَعَـلَ فيهـا رَواسِـيَ وَأَنهـارًا وَمِـن كُـلِّ الثَّمَـراتِ جَعَـلَ فيهـا زَوجَـينِ اثنَـينِ يُغشِـي اللَّيـلَ النَّهـارَ إِنَّ في ذلِـكَ لَآياتٍ لِقَـومٍ يَتَفَكَّـرونَ ﴿٣﴾ وَفِي الأَرضِ قِطَـعٌ مُتَجـاوِراتٌ وَجَنّـاتٌ مِـن أَعنـابٍ وَزَرعٌ وَنَخيـلٌ صِـنوانٌ وَغَـيرُ صِـنوانٍ يُسـقى بِمـاءٍ واحِـدٍ وَنُفَضِّـلُ بَعضَـها عَلـى بَعـضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ [320].

ذكـر ابـن عاشـور الإيجـاز والحـذف قـائلًا: "أُعيـد اسـم الأرض الظّـاهر دون ضـميرها الّـذي هـو المقتضـى؛ ليسـتقل الكـلام ويتجـدد الأسـلوب، وأصـل انتظـام الكـلام أن يقـال: جعـل فيهـا زوجـين اثنـين، وفيهـا قطـع متجـاورات، فعـدل إلى هـذا توضـيحا وإيجـازًا... ولـيس وصـف القطـع بمتجـاورات مقصـودا بالـذات في هـذا المقـام إذ لـيس هـو محـل العـبرة بالآيات، بـل المقصـود وصـف محـذوف دل عليـه السّـياق تقـديره مختلفـات الألـوان والمنابـت، كمـا دلّ عليـه قولـه: ونفضـل بعضـها على بعض في الأكل"[321].

(318) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّماني المعتزلي (ت: 384هـ)

(319)النّكت في إعجاز القرآن، (ص76).

(320) سورة الرّعد، (الآية 3- 4).

(321) التّحرير والتّنوير، (86/13).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ (322).

جملة ﴿**وَلِكُلِّ قَومٍ هاد**﴾ تذييل بالأعمّ، أي ﴿**إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ لهؤلاء لهدايتهم، ﴿**وَلِكُلِّ قَومٍ هاد**﴾ أرسله الله ينذرهم لعلهم يهتدون (323).

قال تعالى: ﴿**وَهُم يُجادِلونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَديدُ المِحالِ**﴾ (324).

حذف المفعول في يجادلون وهو النّبي ﷺ والمسلمون. فالتّقدير: يجادلونك أو يجادلونكم. والمجادلة إنّما تكون في الشّؤون والأحوال، فتعليق اسم الجلالة المجرور بفعل يجادلون يتعين أن يكون على تقدير مضاف تدل عليه القرينة، أي في توحيد الله أو في قدرته على البعث. (325)

ومن الحذف أيضا؛ حذف جواب الشرط (لو) وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى بَل لِلَّهِ الأَمرُ جَميعًا**﴾ (326).

المعنى: لو أنّ كتابًا من الكتب السّالفة اشتمل على أكثر من الهداية، فكانت مصادر لإيجاد العجائب لكان هذا القرآن كذلك ولكن لم يكن قرآن كذلك، فهذا القرآن لا يتطلب منه الاشتمال على ذلك إذ ليس ذلك من سنن الكتب الإلهية.

وجواب لو محذوف لدلالة المقام عليه، ويفيد ذلك معنى تعريضيًا بالنّداء عليهم بنهاية ضلالتهم، إذ لم يهتدوا بهدي القرآن ودلائله والحال لو أنّ قرآنا أمر الجبال أن تسير والأرض أن تتقطع والموتى أن تتكلم لكان هذا القرآن بالغا ذلك ولكن ذلك ليس من شأن الكتب (327)".

(322) سورة الرّعد، (آية 7).

(323) التّحرير والتّنوير، (95/13).

(324) سورة الرّعد، (الآية 13).

(325) التّحرير والتّنوير، (106/13).

(326) سورة الرّعد، (الآية 31).

(327) التّحرير والتّنوير، (143/13)

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ**﴾ (328).

وخبر ﴿**مَن هُوَ قائِمٌ**﴾ محذوف دلّت عليه جملة (**وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ**)، والتّقدير: أمّن هو قائم على كلّ نفس ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة، والعدول عن اسم الجلالة إلى الموصول في قوله: أفمن هو قائم؛ لأنّ في الصّلة دليلًا على انتفاء المساواة، وتخطئة لأهل الشّرك في تشريك آلهتهم لله تعالى في الإلهية، ونداء على غباوتهم إذ هم معترفون بأنّ الله هو الخالق"(329)

قال تعالى: ﴿**لَهُم عَذابٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَما لَهُم مِنَ اللَّهِ مِن واقٍ**﴾ (330).

الواقي: الحائل دون الضّر، والوقاية من الله على حذف مضاف، أي من عذابه بقرينة ما ذكر قبله. (331)

قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقونَ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلكَ عُقبَى الَّذينَ اتَّقَوا وَعُقبَى الكافِرينَ النّارُ**﴾ (332).

قوله ﴿**أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها**﴾ فيها الخبر محذوف، أي دائم.

ثانيا: إيجاز القصر: وهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، فهو الّذي لا يمكن أن نعبّر عن معانيه بألفاظ مساوية لتلك الألفاظ الّتي عبّر بها عن هذه المعاني (333).

(328) سورة الرّعد، (الآية 33).

(329) التّحرير والتّنوير، (150/13).

(330) سورة الرّعد، (الآية 34).

(331) التّحرير والتّنوير، (155/13).

(332) سورة الرّعد، (الآية 35).

(333) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، (ص487).

ومنه قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ**﴾ (334).

أشارت الآية إلى دلائل الوحدانيّة والقدرة، قوله: ﴿**وَسَخَّرَ الشّمسَ وَالقَمَرَ**﴾ فيه بلاغة في الإيجاز والقصر لما للشّمس من فوائد للإنسان والحيوان، كذلك القمر الّذي كانوا يستعملونه للحساب ويعرفون من الشّمس والقمر عدد السّنين والحساب ويعرفون الأشهر وقوله ﴿**كُلٌّ يَجري**﴾ إنّ حركتهم منتظمة وسريعة، كذلك دلالة على عظم حجم الأرض واتساع الكون وقوله ﴿**يُدَبِّرُ الأَمرَ**﴾ من كلّ شيء تعاقب الليل والنّهار، نزول المطر، الرّزق، الزّرع، النّظام الكونيّ وما فيه من تناسق الخ...وقوله ﴿**يُفَصِّلُ الآياتِ**﴾ إشارة إلى التّصرف بإقامة الأدلة والبراهين، وذكر الفعل ﴿**يُفَصِّلُ**﴾ مضارع إشارة أنّ الماضي والحاضر والمستقبل بيده سبحانه.(335)

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ (336).

قوله: ﴿**وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ**﴾ المقصود هي وأشجارها.

قال تعالى: ﴿**وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِن أَعنابٍ وَزَرعٌ وَنَخيلٌ صِنوانٌ وَغَيرُ صِنوانٍ يُسقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعضَها عَلى بَعضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ (337).

قوله ﴿**يُسقى بِماءٍ واحِدٍ**﴾ الزّروع والكروم والنّخيل النّابتة في هذه القطع، مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد، وتراها متغايرة الثّمر في الأشكال والألوان والطّعوم والرّوائح، متفاضلة فيها (338).

---

(334) سورة الرّعد، (الآية 2).

(335) التحرير والتنوير، (13/80-81) بتصرف

(336) سورة الرّعد، (الآية 3).

(337) سورة الرّعد، (الآية 4).

(338) الكشاف، (512/2).

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾ [339].

تضمّنت هذه الآية الكريمة مع الإيجاز والفصاحة، دلائل القدرة، ما موصولة، وعمومها يقتضي علم الله بحال الحمل الموجود من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقص، وحسن وقبح، وطول وقصر، ولون، والازدياد: التّعدد أي ما يكون في الأرحام من جنين واحد أو عدّة أجنّة وذلك في الإنسان والحيوان...."[340]

قوله تعالى: ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾ [341].

هذه الآية مضمونها بمنزلة النّتيجة لعموم علم الله تعالى بالخفيّات والظّواهر [342].

قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ**﴾ [343].

فنٌّ رائعٌ من فنون البلاغة وهو «صحة الأقسام» ويمكن تحديده بأنّه عبارة عن استيفاء المعنى من جميع أقسامه ووجوهه بحيث لا يغادر [344]".

---

(339) سورة الرّعد، (الآية 8).

(340) التّحرير والتّنوير، (97/13).

(341) سورة الرّعد، (الآية 10).

(342) التّحرير والتّنوير، (99/13).

(343) سورة الرّعد، (الآية 12).

(344) درويش، محيي الدّين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ج 10، ط4، 1415 هـ، (100/5)

المطلب الثاني: الإطناب ودلالته في سورة الرعد

الإطنـاب وهـو: "زيادة اللفـظ علـى المعـنى لفائـدة، أو هـو تأديـة المعـنى بعبـارة زائـدة عـن متعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده ". (345)

ومنـه ذكـر الخـاص بعـد العـام نحـو قولـه تعـالى: ﴿**الَّـذينَ آمَنـوا وَتَطمَـئِنُّ قُلـوبُهُم بِـذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ**﴾ (346).

في هـذه الآيـة عـدل عـن عطـف الماضـي علـى الماضـي فلـم يقـل واطمأنـت قلـوبهم... ذلـك أنّ مـن خصـائص الفعـل المضـارع أنّـه قـد لا يلاحـظ فيـه زمـان معـين مـن حـال أو اسـتقبال، وهمـا الزّمـانان اللـذان يحتملهمـا المضـارع فـلا يـدلّ إلّا علـى مجـرد الاسـتمرار ومنـه هـذه الآيـة أي أنّ المـؤمنين تطمـئن قلـوبهم بصـورة مطـردة مهمـا تتالـت المحـن، وتعاقبـت الأرزاء، وحـدثت المفاجـأة فكأنّمـا أعدوا لكل محنة صبرا ولكل رزء اطمئنانا جديدا"(347)

وكـذلك قولـه ﴿**وَمَـا الحَيـاةُ الـدُّنيا فِي الآخِـرَةِ إِلّا مَتـاعٌ**﴾ الجـار والمجـرور – في الآخـرة – جملـة اعتراضـيّة مـن أسـلوب الإطنـاب، ومـن أسـباب الإطنـاب التّـذييل، نحـو قولـه تعـالى: ﴿**وَيَقـولُ الَّذينَ كَفَروا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾ (348).

العمـوم الحاصـل بالتّـذييل والشّـامل للرسـول ﷺ صـار المعـنى: إنّمـا أنـت منـذر لقومـك هـادٍ إيّاهـم إلى الحـق، فـإنّ الإنـذار والهـدى متلازمـان فمـا مـن إنـذار إلّا وهـو هدايـة ومـا مـن هدايـة إلّا وفيها إنذار، والهداية أعمّ من الإنذار(349) ففي هذا احتباك بديع (350).

---

(345) جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، (201/1)

(346) سورة الرّعد، (الآية 28).

(347) إعراب القرآن وبيانه، (120/5). سبق ذكره.

(348) سورة الرّعد، (الآية 7).

(349) يسمى هذا في البلاغة الاحتباك، وهو من المحسنات البديعية وعرّفه الجرجاني: وقال: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله: عَلفتها تِبْنًا وماءً باردًا. أي: علفتها تِبْنًا، وسقيتها ماءً باردًا. (كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط1(12/1) دار الكتب العلمية بيروت –لبنان)

(350) التّحرير والتّنوير، (95/13).

المبحث السادس: تطبيقات الذكر والحذف ودلالاتها في سورة الرّعد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أغراض ذكر المسند والمسند اليه ودلالاتها في سورة الرّعد.

المطلب الثاني: أغراض الحذف ودلالاتها في سورة الرعد

المطلب الأول: أغراض ذكر المسند والمسند اليه ودلالاتها في سورة الرّعد.

إن كل ما يراد الإعلام به من عناصر الجملة في اللسان العربي، الأصل بالنسبة إليه أن يذكر ولا يحذف، لأن ذكره دليل على إرادة الإعلام به، أما حذفه فهو دليل على عدم الإعلام به. (351)

أغراض ذكر المسند في سورة الرّعد

يُذكر المسند–لأغراض منها:

– إذا كان لا غنى عنه، ولا مقتضى للعدول عنه: نحو قوله: ﴿**وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ (352).

وأخبر عن الّذي أنزل بأنّه الحق بصيغة القصر، أي هو الحق لا غيره من الكتب..."(353)

– التّجدد والثّبوت، نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ (354).

صيغ ﴿**يُدَبِّرُ**﴾ و ﴿**يُفَصِّلُ**﴾ بالمضارع عكس قوله: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ**﴾؛ لأنّ التّدبير والتّفصيل متجدد متكرر بتجدد تعلق القدرة بالمقدورات، وأمّا رفع السّماوات وتسخير الشّمس والقمر فقد تمّ واستقر دفعة واحدة.

والافتتاح باسم الجلالة دون الضّمير الّذي يعود إلى ربك؛ لأنّه معين به لا يشتبه غيره من آلهتهم ليكون الخبر المقصود جاريًا على معين لا يحتمل غيره إبلاغًا في قطع شائبة الإشراك. (355)

---

(351) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، ج2، ط 1، 1416 هـ - 1996 م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (312/1)

(352) سورة الرّعد (الآية1).

(353) التّحرير والتّنوير، (78/13).

(354) سورة الرّعد، (الآية 2).

(355) التّحرير والتّنوير، (82/13).

– **تشـويق السّـامع:** نحـو قولـه تعـالى: ﴿**وَمِمَّـا يُوقِـدُونَ عَلَيْـهِ فِي النَّـارِ ابْتِغَـاءَ حِلْيَـةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾ (356)

تقـديم المسـند علـى المسـند إليـه في قولـه تعـالى: ﴿**زَبَـدٌ مِثْلُـهُ**﴾؛ للاهتمـام بالمسـند؛ لأنّـه موضـع اعتبـار أيضًـا ببـديع صـنع الله تعـالى إذ جعـل الزّبـد يطفـو علـى أرق الأجسـام وهـو المـاء وعلـى أغلظهـا وهـو المعـدن فهـو نامـوس مـن نـواميس الخلقـة، فبالتّقـديم يقـع تشـويق السّـامع إلى ترقب المسند إليه. (357)

– **الاهتمـام بالمتقـدم،** نحـو قولـه تعـالى: قـال تعـالى: ﴿**لِلَّـذِينَ اسْـتَجَابُوا لِـرَبِّهِمُ الْحُسْـنَى**﴾ (358).

﴿**الْحُسْـنَى**﴾ مبتـدأ و﴿**لِلَّـذِينَ اسْـتَجَابُوا**﴾ خـبره؛ وتقـديم المسـند في قولـه: ﴿**لِلَّـذِينَ اسْـتَجَابُوا لِـرَبِّهِمُ الْحُسْـنَى**﴾؛ لأنّـه الأهـمّ؛ لأنّ الغـرض التّنويـه بشـأن (الّـذين اسـتجابوا) مـع جعـل (الحسنى) في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضًا. (359)

في قولـه تعـالى: ﴿**الَّـذِينَ يُوفُـونَ بِعَهْـدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُـونَ الْمِيثَـاقَ ﴿20﴾ وَالَّـذِينَ يَصِـلُونَ مَـا أَمَـرَ اللَّهُ بِـهِ أَنْ يُوصَـلَ وَيَخْشَـوْنَ رَبَّهُـمْ وَيَخَـافُونَ سُـوءَ الْحِسَـابِ ﴿21﴾ وَالَّـذِينَ صَـبَرُوا ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ رَبِّهِـمْ وَأَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَأَنْفَقُـوا مِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ سِـرًّا وَعَلَانِيَـةً وَيَـدْرَءُونَ بِالْحَسَـنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (360).

قولـه: ﴿**الَّـذِينَ يُوفُـونَ**﴾ مسـند إليـه وكـذلك مـا عطـف عليـه، وجملـة ﴿**أُولَئِـكَ لَهُـمْ عُقْـبَى الـدَّارِ**﴾ مسـند؛ لمناسـبة مـا أفـادت الجملـة الّـتي قبلهـا مـن إنكـار الاسـتواء بـين فـريقين.، ولـذلك ذكـر في هـذه الجمـل حـال فـريقين في المحامـد والمسـاوي؛ ليظهـر أنّ نفـي التّسـوية بينهمـا في الجملـة السّـابقة ذلـك النّفـي المـراد بـه تفضـيل أحـد الفـريقين علـى الآخـر هـو نفـي مؤيـد بالحجـة، وبـذلك

(356) سورة الرّعد، (الآية 17).

(357) التّحرير والتّنوير، (119/13).

(358) سورة الرّعد، (الآية 18).

(359) التّحرير والتّنوير، (122/13).

(360) سورة الرّعد، (الآية 20– 22).

يصير موقع هذه الجملة مفيدًا تعليلًا لنفي التّسوية المقصود منه تفضيل المؤمنين على المشركين (361).

أغراض ذكر المسند إليه في سورة الرّعد

يقول المراغي: "لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبي هلال العسكري والإمام عبد القاهر، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسيغ البحث عنه في علوم الفصاحة إذ هو بمباحث علم النحو أشبه. ولكن المتأخرين كالسّكاكي وشيعته ذكروا فيه نكات ومزايا، وقالوا إن المسند إليه يذكر وجوبا إذا لم تقم قرينة تدل عليه كان الكلام معمىً لا يستبين المراد منه". (362)

فقد يكون ذكر المسند إليه؛ لزيادة الإيضاح والتّقرير: نحو قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم وَأُولَئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم وَأُولَئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدون**﴾ (363).

ورد المسند إليه في ثلاثة مواضع الأوّل: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم**﴾ للتّنبيه على أنّهم أحرياء، الثّاني قوله: ﴿**وَأُولَئِكَ الأَغلالُ في أَعناقِهِم**﴾ جزاء الإهانة للتّحقير والثّالثة: ﴿**وأولئك أصحاب النّار**﴾ تقرير باستحقاقهم العذاب. (364)

وقد يكون لإثبات شيء معين، نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾ (365).

يقول ابن عاشور لما قامت البراهين العديدة بالآيات السّابقة على وحدانية الله تعالى بالخلق والتّدبير وعلى عظيم قدرته الّتي أودع بها في المخلوقات دقائق الخلقة انتقل الكلام إلى إثبات العلم له تعالى علما عاما بدقائق الأشياء وعظائمها"(366)

---

(361) التّحرير والتّنوير، (124/13).

(362) علوم البلاغة، (85/1) بتصرف

(363) سورة الرّعد، (الآية 5).

(364) التّحرير والتّنوير، (91/13). بتصرف

(365) سورة الرّعد، (الآية 8).

(366) التّحرير والتّنوير، (96/13).

وقد يكون نتيجة لأسلوب ما نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (367).

وهذه نتيجة للاستفهام التّوبيخي في ﴿**أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِيَاءَ**﴾ (368). وفي ﴿**أَم جَعَلوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقوا كَخَلقِهِ**﴾ (369).

بحيث ينتج أنّ أولئك الّذين اتخذوهم شركاء لله والّذين تبين قصورهم عن أن يملكوا لأنفسهم نفعًا أو ضرًا، وأنّهم لا يخلقون كخلق الله إن هم إلّا مخلوقات لله تعالى، وأنّ الله خالق كلّ شيء، وما أولئك الأصنام إلّا أشياء داخلة في عموم كلّ شيء وأنّ الله هو المتوحد بالخلق، القهار لكل شيء دونه. ولتعين موضوع الوحدة ومتعلق القهر حذف متعلقهما، والتّقدير: الواحد بالخلق القهار للموجودات. (370)

وهنا يتبين لنا أهمية ذكر المسند إليه، طبقًا لتغير دلالته.

وقد يترجّح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع (371).

نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَهَا ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ**﴾ (372).

فالملاحظ هنا ذكر المسند إليه (الله) رغم أنّه لو حُذف لدلّ عليه سياق قوله تعالى: (الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ) فمن يرفع السماوات غير الله سبحانه؟ لكنّ الذكر هنا أفاد دلالة معينة وهي التعظيم لله سبحانه ومناسبة هذا الاستئناف لقوله: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ**﴾؛ لأنّ أصل كفرهم بالقرآن ناشئ عن تمسكهم بالكفر وعن تطبعهم بالاستكبار والإعراض عن دعوة الحق. (373)

---

(367) سورة الرّعد، (الآية 16).

(368) سورة الرّعد، (الآية 16).

(369) سورة الرّعد، (الآية 16).

(370) التّحرير والتّنوير، (116/13).

(371) علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، (ص 312).

(372) سورة الرّعد، (آية 2).

(373) أنظر: التّحرير والتّنوير، (79/13).

المطلب الثاني: أغراض الحذف. ودلالاتها في سورة الرّعد

قد يرى المتكلم البليغ أن يحذف من كلامه الذي يريد توصيل معناه لمن يتلقى كلامه، ما يمكن أن يفهمه المتلقي بقرائن الحال، أو قرائن المقال وقد اهتم علماء البلاغة، والباحثون في إعجاز القرآن بدراسة ما في كتاب الله من محذوفات، وبدراسة أقوال كبار البلغاء والفصحاء، وما فيها من عناصر محذوفة مع إرادة توصيل معانيها للمخاطبين بها، فاكتشفوا أن الحذف من صريح البيان، والاكتفاء بدلائل قرائن الأحوال أو قرائن الأقوال، قد يكون أبلغ.

ولذلك نجد في كتاب الله الموجه للناس أجمعين ما يمكن أن يفهمه بسهولة كل المخاطبين، ونجد فيه ما يحتاج فهمه إلى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط، ونجد فيه ما يحتاج فهمه إلى ذكاء فائق وفطنة رفيعة عالية". (374)

ومن شرط حذف ما يراد الدلالة على معناه، إدراكه بقرائن الحال أو قرائن المقال، أو اللوازم الفكرية، أو إشارات المذكور من القول وإلا كان تعمية لا تليق بذي بيان بليغ. (375)

وللحذف دلالات كثيرة، جاءت في القرآن الكريم وكلام العرب، وقد ورد الحذف في سورة الرّعد، وكلّ حذف له دلالة تختلف عن غيرها، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى بَل لِلَّهِ الأَمرُ جَميعًا**﴾ (376).

جواب (لو) محذوف لدلالة المقام عليه، والمعنى: ﴿**وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ**﴾ عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها ﴿**أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ**﴾ حتى تتصدع وتتزايل قطعًا ﴿**أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى**﴾ فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التّذكير ونهاية في الإنذار والتّخويف... وقيل: معناه ولو أنّ قرآنا وقع به تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى وتنبيههم، لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ﴿**وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ**﴾ الآية (377).

---

(374) انظر: البلاغة العربية، (329/1) بتصرف

(375) نفس المصدر، (330/1)

(376) سورة الرّعد، (آية 31).

(377) الكشاف، (529/2).

2- قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَجَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُل سَمّوهُم أَم تُنَبِّئونَهُ بِما لا يَعلَمُ فِي الأَرضِ أَم بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ**﴾ (378).

خبر ﴿**مَن هُوَ قَائِمٌ**﴾ محذوف دلّت عليه جملة وجعلوا لله شركاء، والتّقدير: أمّن هو قائم على كل نفس ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة... والعدول عن اسم الجلالة إلى الموصول في قوله: ﴿**أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ**﴾؛ لأنّ في الصّلة دليلًا على انتفاء المساواة، وتخطئة لأهل الشّرك في تشريك آلهتهم لله تعالى في الإلهية" (379)

3- قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ**﴾ (380).

مقام مدح؛ ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ مبتدأ وخبره محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصناه عليكم ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ أي صفتها الّتي هي مثل في الغرابة.... و﴿**أُكُلُها**﴾ مبتدأ و﴿**دائِمٌ**﴾ خبر وظلها مبتدأ حذف خبره دل عليه ما قبله. (381)

4- قوله تعالى: ﴿**عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ الكَبيرُ المُتَعالِ**﴾ (382)

المتعالي: المترفع. وصيغت الصفة بصيغة التفاعل للدلالة على أن العلو صفة ذاتية له لا من غيره، أي الرفيع رفعة واجبة له عقلا... وحذف الياء من المتعال لمرعاة الفواصل الساكنة لأن الأفصح في المنقوص غير المنون إثبات الياء في الوقف إلا إذا وقعت في القافية أو في الفواصل كما في هذه الآية لمراعاة (383)جملة ﴿ **مِن والٍ**﴾ (سورة الرعد: الآية 11)، وكلمة ﴿**وَالآصالِ**﴾ (سورة الرعد: الآية 15).

---

(378) سورة الرّعد، (آية 33).

(379) التّحرير والتّنوير، (150/13).

(380) سورة الرّعد، (آية 35).

(381) إعراب القرآن وبيانه، (5/130) سبق ذكره.

(382) سورة الرعد، (الآية9)

(383) التحرير والتنوير، (99/13)

المبحث السابع: التعبير بالأفعال ودلالاتها في سورة الرعد

تمهيد: وفيه أغراض التعبير بالأفعال

المطلب الأول: تطبيقات التعبير بالفعل المضارع ودلالاتها في سورة الرعد

المطلب الثاني: التعبير بالجملة الإسمية ودلالاتها في سورة الرعد

تمهيد

درس علماء البلاغة ضمن تتبعهم لموضوعات علم المعاني ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداع من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية، أو تعبيرات جمالية، أو إلماحات ذكية. (384)

ومعنى ذلك خروج الكلام عن السمت المعتاد المطروق عادة في مجاري الكلام وأساليب الخطاب؛ مراعاة لمقتضى الحال.

وبهذا يظهر جمال المعنى، وتتجلى قوة الحجة، وتبرز متانة الوصف.

وقد عني علماء التفسير بإبراز هذا الجانب وتوظيفه في تفسير كلام الله تعالى. كما هو ظاهر عند الزمخشري في الكشاف وابي السعود في إرشاد العقل السليم والألوسي في روح المعاني وابن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم.

المطلب الأول: تطبيقات التعبير بالفعل المضارع ودلالته في سورة الرعد

للفعل المضارع عدة خصائص منها أنّ فيه نقلا للصورة الماضية وجعلها بين يدي الحاضر؛ لذا فإن القرآن الكريم يأتي بالفعل المضارع في حين قد يظن من لا يفقه هذه المسألة أن الفعل الماضي أولى.

ومن هذه التعبيرات في سورة الرعد:

قوله تعالى" ﴿**وَيَقولُ الَّذينَ كَفَروا لَستَ مُرسَلًا**﴾ (385).

جاء فعل القول مضارعًا (يقول) مع أنّه صدر عن الكافرين في وقت مضى وانقضى ولم يأت ماضيًا، ذلك لأنّ صيغة المضارع تدل على تكرار هذا الفعل منهم، واستمرارهم في غيّهم وإصرارهم على تكذيب النّبي ﷺ رغم ما رأوا من دلائل على صدقه، وفي ذلك استحضار لحالتهم العجيبة الّتي كانوا عليها واستمروا بها.

(384) ينظر البلاغة العربية، (478/1) سبق ذكره

(385) سورة الرّعد، (الآية 43).

وقال ابن عاشور "وقد حكي قولهم بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم ولاستحضار حالهم العجيبة من الاستمرار على التّكذيب بعد أن رأوا دلائل الصّدق"(386).

وقوله تعالى: ﴿**الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ**﴾ (387) في هذه الآية فن رفيع من فنون البلاغة فقد عدل عن عطف الماضي على الماضي فلم يقل واطمأنت قلوبهم واختير المضارع في تطمئن مرتين لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره وأنه لا يتخلله شك ولا تردد. (388)

وفي قولُه:تعالى ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ**﴾(**389**) التدبير وتفصيل الآيات المستمر؛ والَّذي تقْتَضيه الفَصاحةُ أنَّ هاتينِ الجُمْلتينِ استِئنافُ إخبارٍ عنِ اللَّهِ تعالى(390) ، وجُملةُ ﴿**يُفَصِّلُ الْآيَاتِ**﴾ تُرِكَ عطْفُها على الَّتي قبلَها؛ لتكونَ على أسلوبِ التَّعْدادِ والتَّوقيفِ؛ وذلك اهتمامٌ باستقْلالِها (391) –وفيه مُناسَبة حَسَنةٌ، حيث صِيغَ ﴿**يُدَبِّرُ ويُفَصِّلُ**﴾ بالمضارعِ، على عكْسِ قولِه :﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ**﴾؛ لأنَّ التَّدبيرَ والتَّفصيلَ مُتَجدِّدٌ مُتَكرِّرٌ بتجدُّدِ تعلُّقِ القُدرةِ بالمقْدوراتِ، وأمَّا رفْعُ السَّمواتِ وتسخيرُ الشَّمسِ والقمرِ فقد تمَّ واستقرَّ دُفعةً واحدةً(392)

وفي الآية الثالثة من سورة الرعد قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (393) جيءَ

(386) ينظر: التّحرير والتّنوير (175/13).

(387) سورة الرعد (الآية 28)

(388) ينظر: التحرير والتنوير (138/13)

(389) سورة الرعد، (الآية 2)

(390) يُنظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ) البحر المحيط في التفسير، (تحقيق: صدقي محمد جميل)، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ، (345/5)

(391) يُنظر: التحرير والتنوير، (81/13)

(392) يُنظر: التحرير والتنوير، (82/13)

(393) سورة الرعد، (الآية: 3)

بالفِعْلِ ﴿**يُغْشِي**﴾ بصِيغَةِ المضارِعِ؛ لِما يدُلُّ عليه مِن التَّجدُّدِ؛ لأنَّ جَعْلَ الأشياءِ المتقدِّمِ ذِكْرُها جَعْلٌ ثابِتٌ مُستمِرٌّ، وأمَّا إغْشاءُ اللَّيلِ والنَّهارِ فهو أمْرٌ مُتجدِّدٌ كلَّ يومٍ وليلةٍ (394)

من كمال الاتصال: أن تكون الجملة الثّانية عطف بيان للأولى، قال تعالى ﴿**كَذلِكَ أَرسَلناكَ في أُمَّةٍ قَد خَلَت مِن قَبلِها أُمَمٌ لِتَتلُوَ عَلَيهِمُ الَّذي أَوحَينا إِلَيكَ وَهُم يَكفُرونَ بِالرَّحمنِ**﴾ (395).

جملة ﴿**وَهُم يَكفُرونَ بِالرَّحمنِ**﴾ عطف بيان على جملة ﴿**كَذلِكَ أَرسَلناكَ**﴾.

"وجملة وهم يكفرون بالرّحمن عطف على جملة كذلك أرسلناك، أي أرسلناك بأوضح الهداية وهم مستمرون على الكفر لم تدخل الهداية قلوبهم، فالضّمير عائد إلى المشركين، لا إلى أمة لأنّ الأمة منها مؤمنون. والتّعبير بالمضارع في يكفرون للدلالة على تجدد ذلك واستمراره"(396)

المطلب الثاني: التعبير في الجملة الإسمية ودلالاتها في سورة الرعد

ورد التعبير بالجملة الاسمية ضمن إطار البلاغة في النص القرآني بقصد الدوام والثبات في سورة الرعد منه.(397)

1) قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ (398)
2) قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾ (399)
3) قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنيا وَمَا الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتاعٌ**﴾ (400)

---

(394) يُنظر: التحرير والتنوير، (84/13)

(395) سورة الرّعد، (آية 30).

(396) التّحرير والتّنوير، (140/13)

(397) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، (ص 92)

(398) سورة الرعد، (الآية 2)

(399) سورة الرعد، (الآية 8)

(400) سورة الرعد، (الآية 26)

الفصل الثّالث: تطبيقات علم البيان ودلالاتها في سورة الرّعد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علم البيان، تعريفه، وموضوعه وفائدته.

المبحث الثّاني: بلاغة التّشبيه ودلالاته في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: بلاغة المجاز ودلالاته في سورة الرّعد.

المبحث الرّابع: بلاغة الكناية ودلالاتها في سورة الرّعد.

المبحث الخامس: قضايا التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد

المبحث الأول: علم البيان، تعريفه، وموضوعه وفائدته.

قبل الدخول في تطبيقات علم البيان، علينا أولًا أن نعرّف لهذا العلم.

1. التعريف:

البيان في اللغة: الكشف والإيضاح، يقال: فلان أبين من فلان، أي: أوضح منه كلاما.

وفي الاصطلاح: علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال.

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر، فإنها وإن كانت طرقا مختلفة لإيراد المعنى الواحد، فاختلافهما إنما هو في اللفظ والعبارة، لا في الوضوح والخفاء"[401]

موضوع علم البيان:

اللفظ العربيّ، من حيث التّفاوت في وضوح الدّلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال، ومباحثه محصورة في المجاز على أنحائه، أي؛ إنّه بمعنى أعمّ يشمل الكناية، وأنّ التّشبيه إنّما ذُكر فيه؛ لبناء الاستعارة عليه [402].

فائدة علم البيان:

لعلم البيان فوائد عديدة ذكرها البلاغيون، منها:

1- الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفننًا في التّعبير كتسمية المطر بالسّماء والنّبات بالغيث.

فتجد أنّ اللفظ الواحد، له الكثير من المعاني، فالمطر مثلًا يطلق عليه: الوابل، والغيث، والجود، والودق، وغير ذلك من الأسماء، وكلّ اسم منها يحمل دلالة معينة.

2- التّذرع إلى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات، كقولهم: ساق الشّجرة، وإبط الوادي، وعنق الإبريق، وذوابة الرّحل [403].

---

(401) انظر: علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، (207/1)

(402) المرجع السابق (208/1).

(403) المرجع السابق، (209/1).

فـالمعنى الواحـد "كـالجود" مـثلًا، يمكنـك إذا كنـت ملمًّـا بمسـائل هـذا الفـنّ، عالمـا بأصـوله وقواعـده أن تؤديـه مـن طـرق مختلفـة في وضـوح الدّلالـة عليـه، فتـارة مـن طريـق التّشـبيه، فتقـول: "محمد كالبحر في الإفاضة" فتشبه بالبحر محمدًا وتلحقه به في هذا المعنى.

وتارة عـن طريـق الاسـتعارة، فتقـول: "رأيـت بحـرًا علـى فـرس يـداعب أقرانـه" فتشـبه محمـدًا بالبحر في الإفاضة، ثم تستعير لفظ البحر له.

وتارة عـن طريـق الكنايـة، فنقـول: "محمـد كثـير الرّمـاد" فـإنّ كثـرة الرّمـاد تـدل علـى كثـرة إحـراق الحطـب الدّالـة علـى كثـرة الطّـبخ، وهـذه تـدل علـى كثـرة الأكلـة، وهـذا دليـل الجـود، فكثـرة الرّماد حينئذ كناية عن الجود، فهذه التّراكيب الثّلاث تؤدي معنى واحدًا (404).

(404) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت، (37/1).

المبحث الثّاني: التّشبيه في سورة الرّعد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التّشبيه، تعريفه وأركانه.

المطلب الثّاني: تطبيقات التّشبيه في سورة الرّعد.

المطلب الأول: التّشبيه، تعريفه وأركانه.

أولًا: تعريف التّشبيه:

التّشبيه لغة: "هو التّمثيل، شبّهت هذا بذاك، مثّلته به"[405].

واصطلاحًا: بيان أنّ شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التّشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام [406].

ويُطلَق عليه أيضًا: "إلحاق أمر بأمر بأداة التّشبيه لجامع بينهما [407]".

ثانيًا: أركان التشبيه:

للتشبيه أركان أربعة: المشبه، والمشبه به، وأداة التّشبيه، ووجه الشّبه، وبعض هذه الأدوات يمكن الاستغناء عنها لسهولة تقديرها [408].

ركنا التشبيه الأساسيان هما: المشبه والمشبه به، كما أنّ التّشبيه يتأثر بالبيئة إلّا أنّ تشبيهات القرآن الكريم غير مقيدة ببيئة معينة.

وإذا كان طريقنا هو القرآن الكريم، "فللعبارة القرآنية أسلوبها الفريد في عرض النّماذج الحيّة في الكون والإنسان، والأحاسيس والمشاعر، فيما يكشف عن نعيم المؤمنين، ويصف عذاب الكافرين [409]".

ويسمى الأمر الأول "مشبهًا" والثّاني "مشبهًا به" والمعنى المشترك "وجه شبه" كالتّشبيه في قولك: "العلم كالنّور في الهداية" فهو إلحاق أمر "كالعلم" بأمر "كالنّور" في معنى "كالهداية" بأداة تشبيه "كالكاف"، ومثله قولك: "على مثل الأسد في الإقدام" وهند شبه

(405) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط:04، 1407 هـ - 1987 م، دار العلم للملايين – بيروت، (2236/6).

(406) علوم البلاغة، (ص143).

(407) البلاغة فنونها وأفنانها، (ص21).

(408) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، (383/1).

(409) عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط:17، 1426هـ-2005م، مكتبة الآداب، (391/3).

البـدر في الإشـراق، وكـأنّ محمـدًا بحـر في الإمـداد، وهكـذا، ويصـح حـذف الأداة ووجـه الشّـبه، فيقال في الأمثلة السّابقة: العلم نور، وعلي أسد، وهند بدر، ومحمد بحر [410].

ثالثًا: أغراض التشبيه:

للتشبيه العديد من الأغراض، ذكرها البلاغيون، أذكر منها بعض هذه الأغراض:

الغـرض الأول: كـون الصـورة الّـتي دلّ عليهـا التشـبيه أكثـر بيـانًا وأوضـح دلالـة وأدَقَّ أداءً من الكلمات التي تدلُّ بوضعها اللّغوي على المعنَى مباشرة، دون استخدام التشبيه.

الغـرض الثـاني: تقريـب صـورة المشـبَّه إلى ذِهْـنِ المتلقّـي عَـنْ طريـق التشـبيه، إذا كـان وجْـهُ الشَّـبَهِ في المشـبَّه بـه أكْثَـر وضـوحًا وأظْهَـر، أو كـان مقـدارُه أعظـم، كتشـبيه القلـوب القاسـية بالحجارة.

الغـرض الثالـث: الإِمْتَـاعُ أو الاسـتمتاع بصُـورٍ جماليّـة يشـتمل عليهـا التشـبيه، ففـي كثـيرٍ مـن التشـبيهات الدقيقـة المحكمـة صُـوَر جماليـة لا تُوجَـدُ في غيرهـا مـن طُـرُق الكـلام، فقولـك: "ليلـةٌ تمشي كالسلحفاة" أكثر إمتاعًا من قولك: "ليلة بطيئة المسير".

الغـرض الرابـع: الإِقنـاع بفكـرة مـن الأفكـار، وهـذا الإِقنـاع قـد يصـل إلى مسـتوى إقامـة الحجّـة البرهانيّـة، وقـد يقتصـر علـى مسـتوى إقامـة الحجّـة الخطابيـة، وقـد يقتصـر علـى لفـت النظـر إلى الحقيقـة عـن طريـق صـورةٍ مشـابهة، ومنـه تشـبيه مـن يـدعو غـير الله بباسـط كفيـه إلى المـاء ليبلـغ فاه [411].

وهـذا يطلـق عليـه التشـبيه البليـغ؛ أي: "مـا بلـغ درجـة القبـول لحسـنه، أو الطيـب الحسـن فكلمـا كـان وجـه الشـبه قليـل الظهـور، يحتـاج في إدراكـه إلى إعمـال الفكـر كـان ذلـك أفعـل في الـنفس: وأدعـى إلى تأثرهـا واهتزازهـا، لمـا هـو مركـوز في الطبـع، مـن أن الشـيء إذا نيـل بعـد الطلـب لـه، والاشـتياق إليـه، ومعـاناة الحنـين نحـوه، كـان نيلـه أحلـى، وموقعـه في الـنفس أجـل وألطـف، وكانت به أضن وأشغف"[412]

(410) المنهاج الواضح للبلاغة، (46/1).

(411) البلاغة العربية، (2/ 168).

(412) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (238/1)

ومن خلال التّطبيقات على سورة الرّعد سيظهر لنا –بإذن الله– أسلوب القرآن الكريم في التّشبيه.

المطلب الثّاني: تطبيقات التّشبيه في سورة الرّعد.

في سورة الرّعد نجد العديد من أغراض التّشبيه، منها:

أولًا: تقرير حال المشبه؛ حتى تتضح صورته في النّفس ويثبت في القلب ثبوتًا يصل به إلى اليقين.

قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيهِ إِلَى الماءِ لِيَبلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ**﴾ (413).

في هذه الآية يشبّه الكافرين وهم يعتمدون على معبوداتهم المتعددة، فلا يغني عنهم شيئًا بما يقتضيه السّياق، فالمشبه به هو: الـ ﴿**باسِطِ كَفَّيهِ إِلَى الماءِ**﴾ يظنّ أنّ ذلك يغني عنه شيئًا، وسيبلغ فاه، فهذه تمامًا صورة الكافرين، وكل الّذين يدعون من دون الله، فهل سيبلغون شيئًا؟ حتما لا.

يقول ابن عاشور: "﴿**لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ**﴾ من طلباتهم ﴿**إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ**﴾ إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن ﴿**يَبلُغَ فاهُ**﴾ والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحسّ بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم.

وقيل: شبّهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه؛ ليشربه، فبَسَطَهما ناشرًا أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئًا ولم يبلغ طِلبته من شَربِه" (414).

(413) سورة الرّعد، (الآية14).

(414) التّحرير والتّنوير، (522/2).

ثانيًا: إجراء مقارنات تشبيهية؛ لإظهار تميز المؤمنين.

قال تعالى: ﴿**قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ قُل أَفَاتَّخَذتُم مِن دونِهِ أَولِياءَ لا يَملِكونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلا ضَرًّا قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ أَم جَعَلوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقوا كَخَلقِهِ فَتَشابَهَ الخَلقُ عَلَيهِم قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ (415).

ففي قوله تعالى: ﴿**قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ**﴾ إعادة الأمر بالقول؛ للاهتمام الخاص بهذا الكلام؛ لأنّ ما قبله إبطالاً لاستحقاق آلهتهم العبادة.

وهذا إظهار لمزية المؤمنين بالله على أهل الشّرك، ذلك أنّ قوله: ﴿**قُل مَن رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ**﴾ تضمن أنّ الرّسول ﷺ دعا إلى إفراد الله بالرّبوبية، وأنّ المخاطبين أثبتوا الرّبوبية للأصنام فكان حالهم وحاله كحال الأعمى والبصير وحال الظّلمات والنّور.

ونفي التّسوية بين الحالين يتضمن تشبيها بالحالين وهذا من صيغ التّشبيه البليغ.

واختير التّشبيه في المتقابلات العمى والبصر، والظّلمة والنّور؛ لتمام المناسبة؛ لأنّ حال المشركين أصحاب العمى كحال الظّلمة في انعدام إدراك المبصرات، وحال المؤمنين كحال البصر في العلم وكحال النّور في الإفاضة والإرشاد (416).

ثالثًا: استخدام النّفي في صورة الاستفهام:

قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾ (417).

الكلام لنفي استواء المؤمن والكافر في صورة الاستفهام تنبيهًا على غفلة الضّالين عن عدم الاستواء، واستعير لمن لا يعلم أنّ القرآن حقّ اسم الأعمى؛ لأنّه انتفى علمه بشيء ظاهر بيّن فأشبه الأعمى، فالكاف للتشابه مستعمل في التّماثل.

---

(415) سورة الرّعد، (الآية 16).

(416) التّحرير والتّنوير، (114/13).

(417) سورة الرّعد، (آية 19).

والاستواء المراد به التّماثل في الفضل بقرينة ذكر العمى، وجملة ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾؛ تعليل للإنكار الّذي هو بمعنى الانتفاء بأنّ سبب عدم علمهم بالحقّ أنّهم ليسوا أهلًا للتذكر؛ لأنّ التّذكر من شعار أولي الألباب، أي العقول.

رابعًا: استخدام تشبيه التّمثيل [418]،والتشبيه التمثيلي هو التشبيه المنتزع من عدة صور.[419] وهذه الآية توضح الصور المنتزعة.

قال تعالى ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾ [420] ".

وجيء في هذا التّسجيل بطريقة ضرب المثل بحالي فريقين في تلقي شيء، واحد انتفع فريق بما فيه من منافع، وتعلق فريق بما فيه من مضار، والتّمثيل بحالة فيها دلالة على بديع تصرف الله –تعالى– ليحصل التّخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبر الموعظة، فالمركب مستعمل في التّشبيه التّمثيليّ بقرينة قوله: ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ**﴾ إلخ. [421]

وقد شبّه إنزال القرآن الّذي به الهدى من السّماء بإنزال الماء الّذي به النّفع والحياة مِن السّماء، وشبّه ورود القرآن على أسماع النّاس بالسّيل يمرّ على مختلف الجهات، فهو يمرّ على التّلال والجبال فلا يستقر فيها ولكنّه يمضي إلى الأودية ويأخذ منه كل بقدر سعته.

---

(418) حتى لا أخرج عن حدود الدّراسة في الرّسالة أذكر أن جمهور العلماء يعتبرون التشبيه شيء، والتمثيل شيء آخر وإنّما الخلاف حول تحديد الفرق بينهما، وما أعجبني هو مذهب "عبد القاهر الجرجانيّ" رحمه الله حيث اعتبر أن التشبيه أعمّ من التمثيل، والتمثيل أخصّ، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلًا، ولكن حينما أراد أن يفرق بينهما نظر الى وجه الشّبه، فوجد أن الشّبه تارة يكون عقليًا، وتارة يكون حسيًا، والعقليّ قد يكون ظاهرًا لا يحتاج الى تأويل. (ينظر: البلاغة فنونها وافنانها، علم البيان، ص67، فضل عباس).

(419) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (234/1)

(420) سورة الرّعد، (الآية 17).

(421) التحرير والتنوير، (116/13)

وتلك السّيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زبدًا، وهو رغوة الماء الّتي تربو وتطفو على سطح الماء، فيذهب الزّبد غير منتفع به ويبقى الماء الخالص الصّافي ينتفع به النّاس للشراب والسّقي.

ثم شبّه هيئة نزول الآيات وما تحتوي عليه من إيقاظ النّظر فيها فينْتَفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة إيمانهم وعملهم، ويمرّ على قلوب قوم لا يشعرون به وهم المنكرون المعرضون، ويخالط قلوب قوم فيتأملونه فيأخذون منه ما يثير لهم شبهات وإلحادًا.

شبّه ذلك كلّه بهيئة نزول الماء، فانحداره على الجبال والتّلال وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدًا لا ينتفع به، ثمّ لم يلبث الزّبد أنّ ذهب وفني، والماء بقي في الأرض؛ للنفع.

ولما كان المقصود التّشبيه بالهيئة كلّها جيء في حكاية ما ترتب على إنزال الماء بالعطف بفاء التّفريع في قوله: ﴿**فَسالَت**﴾ وقوله: ﴿**فَاحتَمَلَ**﴾ فهذا تمثيل صالح لتجزئة التّشبيهات الّتي تركب منها وهو أبلغ التّمثيل.

وهذا الحال مقصود في التّمثيل؛ لأنّه حال انصراف الماء؛ لنفع لا ضر معه؛ لأنّ من السّيول جواحف تجرف الزّرع والبيوت والأنعام، وأيضًا هو دالّ على تفاوت الأودية في مقادير المياه، ولذلك حظ من التّشبيه وهو اختلاف النّاس في قابلية الانتفاع بما نزل من عند الله كاختلاف الأودية في قبول الماء على حسب ما يسيل إليها من مصاب السّيول، وقد تم التّمثيل هنا"(422)

وجملة ﴿**وَمِمّا يوقِدونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ أَو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ**﴾ معترضة بين جملة ﴿**فَاحتَمَلَ**﴾ وجملة ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ**﴾.

وهذا تمثيل آخر ورد استطرادًا عقب ذكر نظيره يفيد تقريب التّمثيل لقوم لم يشاهدوا سيول الأودية من سكان القرى، مثل أهل مكة وهم المقصودون، فقد كان لهم في مكة صواغون.

(422) انظر: التحرير والتنوير، (117/13)

فقرّب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم بمثل ما يُصهَر من الذّهب والفضة في البواتق؛ فإنّه يقذف زبدًا ينتفي عنه وهو الخبث وهو غير صالح لشيء في حين صلاح معدنه لاتخاذه حلية أو متاعًا.

وقد عُلم أنّ الزّبد مثل للباطل وأنّ الماء مثل للحق، فارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء والزّوال؛ ليتوصل بذلك إلى البشارة والنّذارة لأهل الحق وأهل الباطل بأنّ الفريق الأول هو الباقي الدّائم، وأنّ الفريق الثّاني زائل بائد "[423].

وقد ذكر الماوردي [424] تأويلًا لطيفًا في قوله تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها**﴾ فيه وجهان: الأول: يعني بما قدر لها من قليل أو كثير، الثّاني: يعني الصّغير من الأودية سال بقدر صغره، والكبير منها سال بقدر كبره، وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وما يدخل منه في القلوب، فشبّه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبّه القلوب بالأودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية من الماء بحسب سعتها وضيقها.

قال ابن عباس: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾ أي قرآنًا ﴿**فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها**﴾ قال: الأودية قلوب العباد، ﴿**فَاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا**﴾ الرّابي: المرتفع.

وهو مثل ضربه الله تعالى للحقّ والباطل، فالحقّ مُمَثّلٌ بالماء الّذي يبقى في الأرض فينتفع به، والباطل مُمَثّلٌ بالزّبد الّذي يذهب جُفاءً، لا ينتفع به، ثم ضرب مثلًا ثانيًا بالنّار فقال: ﴿**وَمِمّا يوقِدونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ**﴾ يعني الذّهب والفضة، ﴿**أَو مَتاعٍ**﴾ يعني الصُفر والنّحاس، ﴿**زَبَدٌ مِثلُهُ**﴾ يعني أنّه إذا سُبِك بالنّار كان له خبث كالزّبد الّذي على الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل، ويبقى صفوة فينتفع به كالحق [425]".

وقول ابن عباس إن- صح عنه – يُعدّ فهماً دقيقاً وخلاصة واضحة لبيان هاتين الصورتين اللتين ضربهما الله تعالى للحق والباطل.

---

(423) نفس المصدر، (117/13)

(424) الماوردي، (ت:450 هـ)، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب، أقضي قضاة عصره، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل الى بغداد وكان يميل إلى مذهب الاعتزال نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد، من كتبه "أدب الدّنيا والدّين، "الأحكام السّلطانية و" الحاوي " في فقه الشّافعية وغيرها. (الأعلام للزركلي :327/4).

(425) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تفسير الماوردي، النكت والعيون تحقيق: السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، (106/6)

خامسًا: استخدام التّشبيه في صورة التّعجب.

قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقونَ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلكَ عُقبَى الَّذينَ اتَّقَوا وَعُقبَى الكافِرينَ النّارُ**﴾ (426).

ذكر ابن عاشور "والمثل: هنا الصّفة العجيبة، قيل: هو حقيقة من معاني المثل.

وقيل: هو مستعار من المثل الّذي هو الشّبيه في حالة عجيبة أُطْلِق على الحالة العجيبة غير الشّبيهة؛ لأنّها جديرة بالتّشبيه بها"(427).

(426) سورة الرّعد، (الآية35).

(427) التّحرير والتّنوير، (155/13).

المبحث الثّالث: بلاغة المجاز ودلالاتها في سورة الرّعد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المجاز، تعريفه وأقسامه.

المطلب الثّاني: تطبيقات بلاغة المجاز ودلالاتها في سورة الرّعد.

المطلب الأول: المجاز، تعريفه وأقسامه.

أولًا: تعريف المجاز:

المجاز من الكلام:" ما استُعْمل في غير ما وُضع له أصلًا مع وجود علاقة بين المعنى الأصليّ والمعنى المراد، وقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ، وهو أنواع: المجاز المرسل، المجاز بالاستعارة، المجاز بالحذف، المجاز العقليّ "على سبيل المجاز [428]".

وعرفه الهاشميّ [429] قائلًا: "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التّخاطب؛ لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيّ، والعلاقة: هي المناسبة، بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها.

فإذا كانت العلاقة (للمشابهة) فالمجاز (استعارة)، وإلّا فهو (مجاز مرسل) والقرينة: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ، قد تكون لفظية، وقد تكون حالية"[430].

ثانيًا: أقسام المجاز:

ينقسم المجاز إلى قسمين وهما: "المجاز العقليّ: "وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، والمجاز اللغويّ، وبدوره ينقسم إلى قسمين: الأول: مجاز مرسل: سُمي مرسلًا؛ لأنّه مطلق في علاقاته، ليس له علاقة معينة كما هو الشّأن في الاستعارة، والثّاني: استعارة: وهي نقل اللفظ من معناه الّذي عُرف به ووضع له، إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل"[431].

---

(428) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م، (ص 421).

(429) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (1295 - 1362 هـ = 1878 - 1943 م) أديب معلم مصري، من أهل القاهرة، ووفاته بها. كان مديرا لثلاث مدارس أهلية، واحدة للذكور واثنتان للإناث، تتلمذ للشيخ محمد عبده، وصنف كتبا منها (أسلوب الحكيم - ط) مجموع مقالات، و (جواهر الأدب - ط) و (جواهر البلاغة - ط) و (ميزان الذّهب - ط) و (مختار الأحاديث النبويّة - ط). (الأعلام للزركلي :90/1).

(430) ينظر: جواهر البلاغة، (ص 251).

(431) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان، (177-178).

المطلب الثّاني: تطبيقات بلاغة المجاز ودلالاته في سورة الرّعد.

إنّ المتأمل سورة الرّعد، يجد فيها من بلاغة المجاز، ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنيا وَمَا الحَياةُ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتاعٌ**﴾ (432) المجاز في جملة (**وَفَرِحوا بِالحَياةِ الدُّنيا**) أي بما بسط لهم فيها من النعيم، لأن فرحهم ليس بنفس الدنيا، كما بين ابن عاشور وقال:" نسبة الفرح إليها مجازية. والمراد بالحياة الدنيا وبالآخرة نعيمهما بقرينة السياق، فالكلام من إضافة الحكم إلى الذات والمراد أحوالها. وفي ظرف مستقر حال من الحياة الدنيا. ومعنى (**في**) الظرفية المجازية بمعنى المقايسة، أي إذا نسبت أحوال الحياة الدنيا بأحوال الآخرة ظهر أن أحوال الدنيا متاع قليل"(433)

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ**﴾ **(434)**.

ففي قوله تعالى ﴿**ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ**﴾ استعارة مكنية أو تخييليّة؛ فالمستعار "الاستواء" والمستعار منه "كلّ جسم مستوٍ"، والمستعار له "الحق سبحانه" ولا يقع ذكر "الاستواء" على العرش إلا بعد الفراغ من خلق السّموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثمّة سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء على ما يدلّ عليه الظّاهر من تعريف هيئة مخصوصة. (435)

(432) سورة الرعد، (الآية26)

(433) انظر: التحرير والتنوير، (135/13)

(434) سورة الرّعد، (الآية 2).

(435) إعراب القرآن وبيانه، (84/5).

أمـا في الآيـة (15) قـال تعـالى: ﴿**وَلِلَّـهِ يَسـجُدُ مَـن فِي السَّـماواتِ وَالأَرضِ طَوعًـا وَكَرهًا وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصالِ**﴾ [436] ".

إنّ استعارة السّجود للانقياد والخضوع، والطّوع النّاشئ عن اختيار، وهو الصّادر عن الإنسان، والكره النّاشئ عن غير اختيار، وهو الصّادر عن الجماد، ومعنى انقياد الظّلال مطاوعتها لما يراد منها كطولها، وقصرها، وامتدادها، وتقلّصها."[437]

وفي قوله تعالى: ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِن خيفَتِهِ**﴾ [438] مجاز عقلي فلعظم صوت الرعد، جُعل ذكره عبرة للسامعين لدلالة الرعد بلوازم عقلية على أن الله منزه عما يقوله المشركون من ادعاء الشركاء، وكان شأن تلك الدلالة أن تبعث الناظر فيها على تنزيه الله عن الشريك جعل صوت الرعد دليلا على تنزيه الله تعالى، فإسناد التسبيح إلى الرعد مجاز عقلي. [439]

وفي قوله تعالى: ﴿**عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ الكَبيرُ المُتَعالِ**﴾ [440] يشير ابن عاشور إلى مجاز في العظمة بصفة (الكبير)حيث يقول "الشهادة فهي هنا مصدر بمعنى المفعول، أي الأشياء المشهودة، وهي الظاهرة المحسوسة، المرئيات وغيرها من المحسوسات، فالمقصود من الغيب والشهادة تعميم الموجودات والكبير: مجاز في العظمة، إذ قد شاع استعمال أسماء الكثرة وألفاظ الكبر في العظمة تشبيها للمعقول بالمحسوس وشاع ذلك حتى صار كالحقيقة". [441]

وفي الآية واحد وثلاثين يقول تعالى: ﴿**وَلا يَزالُ الَّذينَ كَفَروا تُصيبُهُم بِما صَنَعوا قارِعَةٌ أَو تَحُلُّ قَريبًا مِن دارِهِم حَتّى يَأتِيَ وَعدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ الميعادَ**﴾ [442] "ووعد

---

(436) سورة الرّعد، (الآية 15).

(437) إعراب القرآن وبيانه، (110/5).

(438) سورة الرعد، (الآية:13)

(439) ينظر: التحرير والتنوير، (104/13) بتصرف

(440) سورة الرعد، (الآية 9)

(441) ينظر: التحرير والتنوير، (98/13) بتصرف

(442) سورة الرعد، (الآية :31)

الله من إطلاق المصدر على المفعول، أي موعود الله، وهو ما توعدهم به من العذاب، وإتيان الوعد: مجاز في وقوعه وحلوله."[443]

وآخر السورة في قوله تعالى: ﴿**وَإِن ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيكَ البَلاغُ وَعَلَينَا الحِسابُ** ﴿٤٠﴾﴾ في قوله: (**عَلَيكَ البَلاغُ وَعَلَينَا الحِسابُ**) مستعملة في الإيجاب والإلزام، وهو في الأول حقيقة وفي الثاني مجاز[444] في الوجوب لله بالتزامه به. والمعنى: ما عليك إلا البلاغ سواء رأيت عذابهم أم لم تره.

فقوله ﴿ **وَإِن ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيكَ البَلاغُ وَعَلَينَا الحِسابُ**﴾ عُطِفَ على قوله:﴿ **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ**﴾[445] بِاعْتِبَارِ مَا تُفِيدُهُ مِنْ إِبْهَامِ مُرَادِ اللَّهِ فِي آجَالِ الْوَعِيدِ وَمَوَاقِيتِ إِنْزَالِ الْآيَاتِ، فَبَيَّنَتْ هَذِهِ الآية أَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ مَأْمُورًا بِالِاشْتِغَالِ بِذَلِكَ وَلَا بِتَرَقُّبِهِ وَإِنَّمَا هُوَ مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُحَاسِبُ بِهِ عِبَادَهُ سَوَاءٌ شَهِدَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَمْ لَمْ يَشْهَدْهُ.وَجَعَلَ التَّوَفِّيَ كِنَايَةً عَنْ عَدَمِ رُؤْيَةِ حُلُولِ الْوَعِيدِ بِقَرِينَةِ مُقَابَلَتِهِ بِقَوْلِهِ: نُرِيَنَّكَ[446]"

(443) ينظر: التحرير والتنوير، (147/13) بتصرف

(444) **المجاز العقلي**: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة بينهما، يكون الإسناد المجازي إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو يكون بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل. **المجاز المرسل**: هو استعمال الفاظ وتراكيب اللغة في غير مواضعها الأصلية لعلاقة غير علاقة المشابهة ومن علاقاته (السببية، المسببية، الجزئية، الكلية، الحالية، المحلية، اعتبار ما كان، واعتبار ما يكون ...) (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (253/1) سبق ذكره

(445) سورة الرعد (الآية :39)

(446) ينظر: التحرير والتنوير (169/13) بتصرف

المبحث الرّابع: بلاغة الكناية ودلالاتها في سورة الرّعد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الكناية، تعريفها، وأقسامها، والفرق بينها وبين المجاز.

المطلب الثّاني: دلالات الكناية في سورة الرّعد.

المطلب الأول: الكناية، تعريفها، وأقسامها، والفرق بينها وبين المجاز

أولًا: تعريف الكناية:

الكنايــة في اللّغــة: أن تـتكلّم بشـيءٍ وتُرِيـد غـيره [447]، يُقـالُ: كَـنَى عَـن الأمْـر بغـيره يَكْـنِي كِنَايةً، أي: تكلّم بغيره ممّا يُسْتَدَلُّ به عليه [448].

الكنايــة اصــطلاحًا: أن يريـد المـتكلم إثبـات معـنى مـن المعـاني فـلا يـذكره باللفـظ الموضـوع لـه في اللغـة، ولكـن يجـيء إلى معـنىً هـو تاليـهِ وَردفـه في الوُجـود فَيُـوميء إليـهِ ويجعلـهُ دلـيلاً عليـه، مثـال ذلـك قـولهم: «هـو طويـلُ النّجـاد» يُريـدون طـول القامَـة، «وكَثـيرُ رَمـاد القَـدر» يعنـون كثـير القِرى، وفي المرأة «نَؤوم الضُّحى» والمراد أنّها مُترفة مخدومَة لها من يَكفيها أمرها" [449].

فالكناية أن يعبّر المتكلم عن المعنى القبيح باللّفظ الحسن، وعن الفاحش بالطّاهر، كقوله سبحانه: ﴿**كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾ [450] كناية عن الحَدث، وكقوله تعالى: ﴿**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ**﴾ [451] كِناية عن قَضاء الحاجة، وكقوله عز وجل: ﴿**وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ [452] كِناية عنِ الجِمَاع [453].أو كناية عن الزنا أو أخذ الميثاق أو الزواج في العدة سراً كما بيّن ابن كثير في تفسيره للآية؛ قال:"... وَلكِنْ لَا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا قَالَ أَبُو مِجْلَزٍ وَأَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَالسُّدِّيُّ: يعني الزنا، وهو معنى الزِّنَا، وَهُوَ مَعْنَى رِوَايَةِ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلكِنْ لَا

---

(447) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، ط: 03 - 1414 هـ، دار صادر – بيروت، (233/15).

(448) عبد الرّحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدّمشقي (ت: 1425هـ) البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط: 01، 1416 هـ - 1996 م، (135/2).

(449) علم البيان، عبد العزيز عتيق، (211/1)

(450) سورة المائدة، (الآية 75).

(451) سورة النساء، (الآية 43).

(452) سورة البقرة، (الآية 235).

(453) عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ) تحرير التحبير في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي (143/1).

تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا لَا تَقُلْ لَهَا: إِنِّي عَاشِقٌ وعاهديني أن لا تَتَزَوَّجِي غَيْرِي، وَنَحْوَ هَذَا، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالشَّعْبِيِّ وَعِكْرِمَةَ وَأَبِي الضُّحَى وَالضَّحَّاكِ وَالزُّهْرِيِّ وَمُجَاهِدٍ وَالثَّوْرِيِّ، هُوَ أَنْ يَأْخُذَ ميثاقها أن لا تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ: لَا تَفُوتِينِي بِنَفْسِكِ فَإِنِّي نَاكِحُكِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ أَنْ يَأْخُذَ عَهْدَ الْمَرْأَةِ وَهِيَ فِي عدتها أن لا تَنْكِحَ غَيْرَهُ، فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِيهِ وَأَحَلَّ الْخِطْبَةَ، وَالْقَوْلَ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَلكِنْ لَا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا هُوَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا فِي الْعِدَّةِ سِرًّا، فَإِذَا حَلَّتْ أَظْهَرَ ذَلِكَ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ عَامَّةً فِي جميع ذلك، لهذا قَالَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: يَعْنِي بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِبَاحَةِ التَّعْرِيضِ كَقَوْلِهِ: إِنِّي فِيكِ لِرَاغِبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ(454)"

ثانيًا: أقسام الكناية:

تنقسم الكناية الى ثلاثة أقسام هي: طلب نفس الصفة، وطلب نفس الموصوف، وطلب النسبة.

ومعنى هذا أنّ الكناية تقسم باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام تتمثل في أنّ المكنى عنه: قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا، وقد يكون نسبة.

1- **كناية الصفة:** وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت (455). ومنها قوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾(456) كناية عن العفة. ومن أمثلة كناية الصفة : أقول "فلان كثير الرماد" ذكر للموصوف وهو فلان وذكر لصفته وهي كثرة الرماد، ولكني لم أرد هذه الصفة نفسها، بل أردت صفة لازمة لها وهي الكرم، ذلك لأن كثرة الرماد تنشأ عن كثرة النار، وهذه تنشأ عن كثرة الحطب، وهي تنشأ عن كثرة الطبخ، وذلك نتيجة كثرة الضيفان، والكرم لازم لذلك كله"(457).

(454) ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، محمد حسين شمس الدين، ط1، 1419 هـ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت (484/1)

(455) ينظر: علم البيان، (215/1-217) بتصرف

(456) سورة الرحمن (الآية: 56)

(457) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، (ص285) بتصرف

2- **كناية الموصوف**: وهي التي يطلب بها نفس الموصوف والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكنيّ عنه لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه. كما في قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾[458] فقد كنى بالألواح والدسر عن السفينة، لأن مجموع الأمرين وصف مختص بالسفينة.

3- **كناية النسبة**: ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف. [459]ومن شواهدها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[460]

والكناية منها ما يدل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز، أو بعبارة أخرى منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي الذي يفهم من صريح اللفظ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك. [461]

ثالثًا: الفرق بين الكناية والمجاز:

الكناية لها معنيان: معنى قريب ظاهر في الجملة ومعنى بعيد خفي والمعنى البعيد الخفي هو المقصود وكلا المعنيين صحيح ومقبول.

والمجاز لا يصحّ معه إرادة المعنى الحقيقيّ للفظ، بل يتعيّن فيه إرادة المعنى المجازيّ فَحَسب، مثل: خطب الأسَدُ المغوار خُطْبةً عظيمة في الجيش ألهب بها المشاعر، واستثار الحماسة. فلفظ "الأسد" هنا مجاز عن الرّجل الشّجاع، ولا يصحّ أن يُرادَ به معناه الحقيقي، وهو الحيوان المفترسُ المعروف [462].

(458) سورة القمر، (الآية :13)

(459) ينظر: علم البيان، (215/1-217) بتصرف

(460) سورة آل عمران (الآية :77)

(461) نفس المصدر، (217/1) بتصرف

(462) البلاغة العربية، (135/2)

المطلب الثّاني: دلالات الكناية في سورة الرّعد.

وردت الكناية في سورة الرّعد في مواضع متعددة،

منها:

في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ (463).

والمعنى أنّ الله رفع السّموات بغير عمد مرئية لكم من العيون بل لها عمد غير مرئية وهي قدرة الله تعالى، (464) ولفظ (**لِأَجَلٍ مُسَمًّى**). المسمى: أصله المعروف باسمه، وهو هنا كناية عن المعين المحدد إذ التسمية تستلزم التعيين والتمييز عن الاختلاط. (465)

في الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ**﴾ (466) يقول ابن عاشور:" تغيض: تنقص، والظاهر أنه كناية عن العلوق لأن غيض الرحم انحباس دم الحيض عنها، وازديادها: فيضان الحيض منها."(467)

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ (468).

قال أبو جعفر: "يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ**﴾ يعني أنّ الرّبّ هو الّذي يري عباده البرق، وقوله: ﴿**هُوَ**﴾ كناية اسمه جلّ ثناؤه"(469).

---

(463) سورة الرّعد، (آية 2).

(464) محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصّناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 01 - 1417 هـ، (552/1).

(465) ينظر: التحرير والتنوير، (81/13)

(466) سورة الرعد، (الآية 8)

(467) التحرير والتنوير، (97/13)

(468) سورة الرّعد، (الآية 12).

(469) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطّبري (ت: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرّسالة، ط: 01، 1420 هـ - 2000 م.

وفي قوله تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ (470).

قَوْلَهُ: ﴿**وَمَا هُوَ بِبالِغِهِ**﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَاءِ، أَيْ وَمَا الْمَاءُ بِبَالِغٍ فَاهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿**هُوَ**﴾ كِنَايَةً عَنِ الْفَمِ، أَيْ مَا الْفَمُ بِبَالِغِ الْمَاءَ"(471).

وقال ابن عاشور في تفسير هذه الآية " الاستثناء في (**إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ**) من عموم أحوال الداعين والمستجيبين والدعوة والاستجابة، لأنه تشبيه هيئة فهو يسري إلى جميع أجزائها فلك أن تقدر الكلام؛ إلا كداع باسط أو إلا كحال باسط. والمعنى: لا يستجيبونهم في حال من أحوال الدعاء والاستجابة إلا في حال لداع ومستجيب كحال باسط كفيه إلى الماء. وهذا الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده فيؤول إلى نفي الاستجابة في سائر الأحوال بطريق التمليح والكناية. (472)

وفي قوله تعالى: ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها وَمَن صَلَحَ مِن آبائِهِم وَأَزواجِهِم وَذُرِّيّاتِهِم وَالمَلائِكَةُ يَدخُلونَ عَلَيهِم مِن كُلِّ بابٍ**﴾ (473)ورد ذكر (**مِن كُلِّ بابٍ**) كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة. ذلك أن هذا الدخول لما كان مجلبةُ مسرّة كان كثيرا في الأمكنة. ويفهم منه أن ذلك كثير في الأزمنة فهو متكرر لأنهم ما دخلوا من كل باب إلا لأن كل باب مشغول بطائفة منهم، فكأنه قيل من كل باب في كل آن."(474)

---

(470) سورة الرّعد، (آية 14).

(471)أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 02، 1384هـ - 1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة، (301/9).

(472) التحرير والتنوير، (109/13)

(473) سورة الرعد، (الآية 23)

(474) التحرير والتنوير، (132/13)

وفي قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ**﴾ [475] "البسط: مستعار للكثرة وللدوام. والقدر: كناية عن القلة."[476]

ورد في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [477].

جملة (**قُلْ سَمُّوهُمْ**) استئناف أعيد معها الأمر بالقول لاسترعاء الأفهام لوعي ما سيذكر. وجملة سموهم، تضمنت ردا عليهم. فالمعنى: سموهم شركاء فليس لهم حظ إلا التسمية، أي دون مسمى الشريك، فالأمر مستعمل في معنى الإباحة كناية عن قلة المبالاة بادعائهم أنهم شركاء"[478].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِن ما نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيكَ البَلاغُ وَعَلَينَا الحِسابُ**﴾ [479] جعل التوفي كناية عن عدم رؤية حلول الوعيد بقرينة مقابلته بقوله: (نرينك)والمعنى: ما عليك إلا البلاغ سواء رأيت عذابهم أم لم تره. وفي الإتيان بكلمة بعض إيماء إلى أنه يرى البعض"[480]

وأيضًا قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [481].

وَالْحِسَابُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْجَزَاءِ وَالسُّرْعَةُ: الْعَجَلَةُ، وَهِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسبِهِ [482].

---

(475) سورة الرعد، (الآية26)

(476) التحرير والتنوير، (134/13)

(477) سورة الرّعد، (آية 33).

(478) التحرير والتنوير، (151/13)

(479) سورة الرعد، (الآية40)

(480) التحرير والتنوير، (169/13)

(481) سورة الرّعد، (الآية 41).

(482) التحرير والتنوير، (173/13).

المبحث الخامس: قضايا التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد.

المطلب الأول: مفهوم التّصوير الفنيّ.

المطلب الثاني: قضايا التصوير الفني في القرآن الكريم

المطلب الثالث: أسلوب التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد.

المطلب الأول: مفهوم التّصوير الفنيّ

مسألة التصوير الفني في القرآن الكريم من المسائل البلاغية المعاصرة، التي أشار اليها الأستاذ سيد قطب– رحمه الله– في عموم القرآن الكريم؛ وامتاز بتطبيقاتها في كتابه "التصوير الفني في القرآن الكريم " وفي "تفسيره الظلال." وهي تعطي القاريء جِدَة وحلاوة في تذوق أسلوب القرآن الكريم بطريقة أبلغ من القول بالاستعارة أو المجاز.

ودراسة التّصوير الفنيّ في القرآن، تقوم على إدراك تقنية التّصوير والتّمثيل والتّشبيه في الآيات، أو كيفية رسم الآيات لمشهد ما، سواء كان نفسيًّا أو طبيعيًّا أو سرديًّا، ومن ثم استشعار أثر التّصوير في إيصال المعنى وتعميقه. (483)

قال سيّد قطب: "التّصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصّورة الحسيّة المتخيّلة عن المعنى الذّهنيّ، والحالة النّفسيّة، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النّموذج الإنسانيّ والطّبيعة البشرية.

ثم يرتقي بالصّورة الّتي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذّهنيّ هيئة أو حركة، وإذا الحالة النّفسيّة لوحة أو مشهد، وإذا النّموذج الإنسانيّ شاخص حيّ، وإذا الطّبيعة مجسّمة مرئيّة.

فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة. فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل؛ فما يكاد يبدأ

(483) سيد قطب بن إبراهيم (1324 – 1387 هـ = 1906 – 1967 م) مفكر ومفسّر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثّقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (1948 – 51) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته (1953) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953 – 54) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. قال خالد محيي الدين (أحد أقطاب الثورة المصرية) فيما كتب عنه: كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحا، ومن العجيب أنه انقلب – بعد قيام الثورة – ناقما متمردا على كل ما يحدث حوله، لا يراه إلا جاهلية مظلمة. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق) . (الأعلام للزركلي ، 147/3).

العرض حتى يحيل المستمعين نَظَّارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الّذي وقعت فيه أو ستقع"[484].

وعن آفاق هذا التّصوير الفنيّ في القرآن، ذكر-سيّد قطب رحمه الله – "أنه تصوير باللّون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتّخيّل [485]".

(484) سيد قطب، التّصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشّرق، القاهرة، ط 17، 2004م، (ص36).

(485) نفس المصدر، (ص 37).

المطلب الثّاني: قضايا التّصوير الفنيّ في القرآن الكريم

يعتبر التصوير الفني هو الطريقة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، وله سمات واضحة وخصائص بينة حددها سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن" وهي :التخييل الحسي، التجسيم الفني، التناسق الفني، الحياة الشّاخصة، الحركة المتجددة.

1) **التخييل الحسي** :وهو القاعدة الأولى والأساسية التي يقوم عليها التصوير الفني؛ "إن الفنان المتخيل هو الذي يكتشف التصوير الفني في القرآن، وأن الخيال هو الذي تظهر فيه الصور الفنية، إن هذه الصور تعمل عملها في الخيال، وتدخل إليه عن طريق الحس والوجدان، وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس والتأثيرات، وعندما يكون الخيال نشيطاً خصباً، يكون اكتشافه للصور الفنية أدق وتذوقه أتم وبيانه لها أوضح "فالتخيل الحسي قاعدة هامة تقوم عليها الصورة الفنية، حيث يدع الخيال يعمل فيها وفي مختلف جزئياتها، ويتخيلها على مختلف الأشكال، كما يدع الحس يتأثر بها"(486)

والأمثلة على ذلك متعددة بتعدد السور القرآنية، منها قوله تعالى:﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**﴾ (487)فالشيب يبدو في هذه الآية يتحرك بسرعة بحيث يشمل الرأس في زمن قصير، كما تفعل النّار مع الهشيم. (488) إن التخيل الحسي موجود في الصور الفنية في القرآن الكريم، لأنه قاعدة عامة للتصوير، وسمة من سماته (489).

ومن ألوان التصوير:

أ) **التشخيص:** أي خلع الحياة على الجماد وعلى الانفعالات الوجدانية مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (490). فكأن الصبح كائن حي يتنفس مفعم بالنشاط (491).

(486) صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق- عمان، ط:01، 1437هـ-2016م (ص132)

(487) سورة مريم، (الآية: 4)

(488) التصوير الفني في القرآن، (ص 31)

(489) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص136) بتصرف

(490) سورة التكوير، (الآية:18)

(491) انظر: في ظلال القرآن، (3841/6-3842)

ب) **تخييل بتوقع الحركة التالية:** حيث يذهب الحس والخيال، مع الحركات المصورة ويعمل القارئ حسه وخياله بتخيل هذه الحركة ويتوقع حصولها في كل لحظة ويبني نتائج لهذا التوقع المتخيل ويتذوق ما فيها من فن [492].

والأمثلة على هذا اللون من التخيل كثيرة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [493] ان الخيال يرسم الحركة المتخيلة، حركة الزحزحة وينظر إلى اليد تنسل الإنسان تُزحزحه وهو يَتزحزح معها بجد وثقل وجسمه يكاد يفلت من هذه اليد فكل هذا تركه التعبير القرآني للخيال يتخيله [494].

ج) **حركة متخيلة ينشئها التعبير:** تتكون الصورة القرآنية من ألفاظ تبنى عليها هذه الصورة أو جزء من أجزائها بعض هذه الألفاظ يلقي في نفس القاريء وحسه وخياله حركة متخيلة وهذه الحركة لا ترد على الخيال لولاه ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿ **وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا**﴾ [495] وكلمة (لا تقف) ترسم للخيال حركة متخيلة وهي حركة انسان يقفو بجسمه وأقدامه شيئا ما يسير أمامه"[496].

د) **حركات سريعة متخيلة:** يترك التعبير القرآني عند رسمه للصورة الفنية المجال للخيال أحيانا ليمثل حركة سريعة متتابعة متخيلة. ومثاله في قوله تعالى: ﴿**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [497] في حركة سريعة تتخيل سقوط هذا الكافر وتخطّف الطّير له ثم ها هو ذا يهوي في مكان سحيق"[498]

هـ) **حركة الساكن:** التعبير القرآني ينبض بالحياة والحركة؛ فما أن يُمس الساكن أو ما شأنه السكون حتى تدب فيه الحياة، فينتفض حياً متحركا به. كما في قوله تعالى: ﴿ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى**

---

(492) انظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص140)

(493) سورة آل عمران، (الآية 185)

(494) انظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص 141)

(495) سورة الاسراء، (الآية 36)

(496) انظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص143)

(497) سورة الحج، (آية 31)

(498) نفس المصدر، (ص144)

الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [499]فان الأرض الساكنة الهامدة انتفضت فيها الحياة والحركة، وإذا بها تتفجر كلها عيونا، تجري لتلتقي مع الماء المنهمر من السّماء"[500].

2) **التجسيم الفني:** وهو السمة الثانية من سمات التصوير في القرآن الخاصّة الثّانية من خصائصه. ومعناه "تصيير المعنويات المجردة وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم"[501] ولا يقصد بالتجسيم التشبيه بالمحسوسات إنما نعني لونا جديدا هو تجسيم المعنويات لا على وجه الشبه والتمثيل بل على وجه التصوير والتحويل [502] وهو على نوعين كما فصله وشرحه سيد قطب:

النوع الأول: تجسيم تمثيلي تشبيهي؛ وهو تجسيم من قبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم على وجه التشبيه والتمثيل. قال تعالى: ﴿مَثَلُ **الَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم أَعمالُهُم كَرَمادٍ اشتَدَّت بِهِ الرّيحُ في يَومٍ عاصِفٍ لا يَقدِرونَ مِمّا كَسَبوا عَلى شَيءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ**﴾ [503]

تصوير لأعمال الكفار- وهي أمور معنوية – في صورة حسية مجسمة، تتبدى في ذلك الرماد الذي اشتدت به الريح فاندثر وتبدد، والشيء الذي يدل على أنه تجسيم من قبيل التشبيه كلمة (مثل) و(الكاف) [504].

النوع الثاني: تجسيم تصييري تحويلي؛ وهو (تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل) وهذا النوع يصير الأمر المعنوي المجرد صورة حسيّة مجسمة بواسطة التخييّل الحسي. [505]

قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ**﴾ [506] بواسطة التّجسيم تحول أمر معنوي وهو الذنوب إلى أمر مجسم مادي يتمثل في الأحمال التي تحمل على الظهور.

---

(499) سورة القمر، (الآية12)

(500) نفس المصدر، (ص144)

(501) انظر: التصوير الفني في القرآن، (ص72)

(502) نفس المصدر، (ص72)

(503) سورة إبراهيم، (الآية18)

(504) انظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص 146)

(505) نفس المصدر، (ص 149)

(506) سورة الأنعام، (الآية31)

ومن ألوان التجسيم التحويلي:

- **تجسيم الحالات النفسية المعنوية:** قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾**﴾ [507]. الروح المعنوية تجسَّمت حيث تترك في جسم المحتضر حركة محسوسة مجسمة تظهر للعيان.
- **تجسيم الحالات المعنوية العقلية:** قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾**﴾ [508] تبيان عدم استفادة الناس من الآيات القرآنية، وذلك من خلال حواجز مادية مجسمة محسوسة تصنعها الصورة الفنية للفصل بين منافذ الإدراك فيهم وبين القرآن، فتختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم [509].
- **الوصف في هيئة تجسيمية:** قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُم قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا**﴾ [510] تصوير حسي لنفسية الإنسان المرعوب الذي شبه وجهه بظلمة الليل الداجر. [511]
- **وصف أمر معنوي بأمر محسوس مجسم:** قوله تعالى: ﴿**وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**﴾ [512] تحول العذاب وهو أمر معنوي إلى شيء غليظ. [513]
- **اجتماع التخييل والتجسيم:** كثيرا ما يظهر في المثال الواحد من القرآن الكريم، فيصور المعنوي في مجسم حسي مع إضافة حركة تخييلية على هذا الجسم عندها يبدأ التجسيم يتبعه التخييل . قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [514] في هذه الآية القرآنية تجسيم أمر معنوي وهو الحق، حيث أصبح قذيفة، هذه الأخيرة تتحرك بسرعة تخييلية خاطفة نحو الباطل الذي صار لتدمغه فإذا به (زاهق) [515].

---

(507) سورة الواقعة، (الآيات 83-85)

(508) سورة البقرة، (الآية:7)

(509) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب(ص150) بتصرف

(510) سورة يونس، (الآية:27)

(511) الرجع السابق، (ص 151)

(512) سورة إبراهيم، (الآية:17)

(513) نفس المصدر (ص151)

(514) سورة الأنبياء، (الآية:18)

(515) المرجع السابق: بتصرف (ص152)

3. التناسق الفني:

التناسق الفني يبلغ الذروة في أسلوب القرآن الكريم، وتتناسق صوره وظلاله وتتناسق إيقاعاته وموسيقاه [516]"

ويقول سيد قطب –رحمه الله– "التصوير هو القاعدة الأساسية في أسلوب القرآن؛ وأن التخيل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير ...والتناسق ألوان ودرجات منها ما تبين اليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن"[517] منها:

1) التنسيق في تأليف العبارات؛ بتخير الألفاظ ثم نظمها في شكل خاص[518].قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾**﴾[519] لفظي (**يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ**) يتناسق مع الأمر المراد تصويره وهو حالة الكفار الغافلين عن يوم الحساب، كالأنعام التي همها الوحيد الأكل والمرح غافلة عما سوى ذلك.
2) الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص[520]
3) النكات البلاغية التي تضمنها الأسلوب القرآني: وهي كأن تجيء الفاصلة :(**وهو على كل شيء قدير**) بعد كلام يثبت القدرة. والفاصلة (**ان الله عليم بذات الصدور**) بعد كلام في وادي العلم المستور. وكأن يعبر بالاسم الموصول لتكون جملة الصلة بيانا لعلة الجزاء[521].
4) التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات. وهو التناسب في الانتقال من غرض إلى غرض[522]. مثاله قوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ**

---

(516) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (ص155) الخالدي

(517) أنظر: التصوير الفني في القرآن، (ص 87) بتصرف

(518) الخالدي، (ص 155)

(519) سورة محمد (الآية:12)

(520) نفس المصدر، (ص155)

(521) في ظلال القرآن، (ص88) بتصرف

(522) نفس المصدر، (ص88)

إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[523] فالغرض من الآية إنكار تعدد الآلهة وإثبات وحدانية الله تعالى.

5) التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص. والخطوات النفسية التي تصحبها [524] ومثاله قوله تعالى:﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذينَ خُلِّفوا حَتّى إِذا ضاقَت عَلَيهِمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت وَضاقَت عَلَيهِم أَنفُسُهُم وَظَنّوا أَن لا مَلجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلّا إِلَيهِ﴾**[525]

وقد أضاف سيد قطب –رحمه الله– أنواعاً أخرى من التناسق لم يذكرها البلاغيون من قبله[526] منها:

1. **تناسق التعبير مع المضمون:** مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [527]. فالحالة المراد تصويرها غفلة بعض النّاس وكأنّهم حيوانات تدب على الأرض لا تفهم ولا تعقل فجاءت كلمة "الدواب" و "صم" و "بكم" و "لا يعقلون" تصور لنا هذه الحالة.
2. **استقلال لفظة واحدة برسم صورة شاخصة لحالة ما، إما بجرسها أو بظلها أو بهما معاً وتفصيل ذلك كما يلي:**

أ) **بالجرس** مثل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [528]. فلفظة (اثاقلتم) تجسم تثاقل هؤلاء، لثقل نطقها حتى على اللسان، فلو قال "تثاقلتم" لخف جرسها ولما أدت الغرض المقصود رسمه وتصويره.

ب) **بالظل:** مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [529].. فكلمة (انسلخ) ترسم صورة عنيفة للتملص من آيات الله لأنّ فيها حركة عنيفة وقوية.

---

(523) سورة المؤمنون، (الآية: 91)

(524) الخالدي، (ص156)

(525) سورة التوبة،(الآية:118)

(526) أسهب في بيانها صلاح الخالدي في كتابة نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

(527) سورة الأنفال، (الآية22)

(528) سورة التوبة، (الآية 38)

(529) سورة الأعراف، (الآية 175)

ت) **أما اشتراك الجرس والظل معاً:** ففي قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً**﴾ (530). فلفظة دعًّا تصور الحالة بجرسها وظلها معاً، فدفع الإنسان من ظهره بعنف يحدث صوت "أع" وجرسها قريب من "دعاً" كما أنّ الخيال يرسم صورة الدفع العنيف القوي.

3. **التقابل بين صورتين حاضرتين:** منه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ (531). فصورة بث الدواب وجمعها تلتقيان في سطر واحد، بينما تصورهما يستغرق الخيال مدّة أطول، مرّة وهي تبث وأخرى وهي تجمع.

4. **التناسق بين صور حاضرة وأخرى ماضية:** مثل قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**﴾ (532). فالصورة الحاضرة الإنسان الخصيم، والصورة الماضية النطفة التي لا حول لها ولا قوة، فبين الصورتين مسافة ومفارقة واضحة ليتخيل السامع هذا التباين ويدرك هذه المكابرة وهذا التمرد.

5. **التناسق بين الإيقاع الموسيقي الداخلي للآية والوظيفة التي تؤديها:** مثل ما جاء في سورة "النجم" فالإيقاع الموسيقي متوسط مسترسل الروي، ويتناسب هذا مع الجو القصصي (533).

6. **التناسق بين الصورة والمشاهد في الآية:**

لاحظ سيد قطب – رحمه الله – أن الآية ترسم صوراً تتميز بتناسق الأجزاء في وحدة متكاملة وتوزع فيها بنسب متساوية تغطي رقعة اللوحة ولا تزاحم بعضها بعضا، بالإضافة إلى مراعاة اللون وتدرج الظلال ليحدث الاتساق بين الفكرة والموضوع. ويضرب على ذلك مثال سورة "الفلق" حيث ينظر إليها كلوحة مرسومة توحي بجو الغموض والرهبة؛ فاختار لوناً واحداً يتمثل في أشياء غامضة مرهوبة يلفظها الظلام (الفلق، الغاسق، النّفاثات، الحاسد) وهي موزعة بشكل متقابل منسجم: مشهدان من الطبيعة (الفلق)

(530) سور الطور، (الآية13)

(531) سورة الشورى ،(الآية 29)

(532) سورة النحل، (الآية 4)

(533) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، (-173155) الخالدي(بتصرف)

(الغاسق) ومخلوقان آدميان (النّفاثات) (الحاسد)، فالفلق والغاسق متقابلان من حيث الزمان والنّفاثات والحاسد متقابلان من البشر. فالجو الذي ترسمه السورة كله ظلام ورهبة وخفاء وغموض [534].

7. التناسق بين الصورة والإطار:

يضع القرآن الصور التي يرسمها في إطار يناسبها من خلال الإيقاع الموسيقي الذي يطلقه حولها مثال: سورة "العاديات" فالإيقاع الموسيقي عنيف خشن فيه دمدمة وفرقعة، يناسب الأصوات الصاخبة الناتجة عن بعثرة القبور وتحصيل ما في الصدور، وتحقق ذلك من خلال اختيار صوت الخيول الصاخب الناتج عن حوافرها المثيرة للغبار"[535]

8. التناسق في الإخراج:

لقد فصل "سيد قطب" بيان ذروة التناسق من خلال إظهار الانسجام بين المشهد والصورة والموسيقى بحيث تعرض مجتمعة على أكمل وجه عن طريق:

أ) عرض بعض المشاهد بسرعة خاطفة لتؤدي الغرض المراد تبليغه مثال: قوله تعالى:﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**﴾ [536]. وهكذا في مشهد سريع تعرض الحياة في جمل قصيرة بفاء التعقيب لتذكر السامع بقصر الحياة.

ب) عرض بعض المشاهد على مهل وتؤدة لتستغرق الخيال والوقت معاً: مثل قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[537] .

---

(534) انظر: التصوير الفني في القرآن (ص 115) بتصرف

(535) انظر: نفس المصدر (ص126) بتصرف

(536) سورة الكهف، (الآية 45)

(537) سورة الروم، (الآية 48)

فوصول الماء إلى الأرض يأخذ كل هذا الوقت ويعرض في مراحل والغرض من ذلك تأمل قدرة الله تعالى وبديع صنعه. وهكذا كما قال سيد قطب –رحمه الله –"تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق..."[538].

2. الحياة الشاخصة:

وهي السمة الرابعة من سمات التصوير الفني في القرآن " تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[539]

ومن النماذج الدالة على الحياة في التصوير القرآني قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾**[540] قيام السّاعة المرعب شخص في وسط حي، ويقاس بمقاييس حية من حيث وقعها وتأثيرها في النفوس الآدمية، فالمرضعات تذهل عما ترضع، والحوامل يضعن حملهن، وترى النّاس سكارى وما هم بِسكارى من شدة الهول والفزع والرعب، ولكن عذاب الله شديد.

3. الحركة المتجددة:

الحركة سمة واضحة من سمات التصوير الفني في القرآن، وهي أيضاً بارزة في كل آفاق التصوير سواء الحالة العقلية أو الحالة النفسية، أو النماذج الإنسانية المختلفة، أو القصص والأمثال المضروبة أو الحوادث والمشاهد المعروضة والحركة في القرآن الكريم مرة تكون مضمرة وتارة أخرى تكون ظاهرة للعيان، ومن الأمثلة على هذه الحركة المتجددة قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحوا بِها جاءَتها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكانٍ وَظَنّوا أَنَّهُم أُحيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصينَ لَهُ الدّينَ لَئِن أَنجَيتَنا مِن هذِهِ لَنَكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ ﴿٢٢﴾**[541] في هذه الآية الحركة ملحوظة في كل جزء من جزيئات هذا المشهد الحي، حيث نرى السفينة تسري بهم في البحر، وعيون

(538) انظر: نفس المصدر (ص 126-142) بتصرف

(539) انظر: التصوير الفني في القرآن (ص37)

(540) سورة الحج، (الآية 1-2)

(541) سورة يونس، (الآية 22)

السامعين تتبعهم في هذه الحركة وهم فرحون بهذه المرحلة الآمنة، لأنه هناك ريحاً طيبة، سرعان ما تقع المفاجأة مفاجأة مفزعة، تأتي ريح عاصفة عنيفة تحيط بالسفينة فتتحرك وتتموج وتضطرب، أنفاس الركاب ترتفع وتنخفض مع تماوج السفينة.[542]

المطلب الثّالث: أسلوب التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد

في هذا المطلب سأعرض بعض تطبيقات أسلوب التّصوير الفنيّ في سورة الرّعد:

قال تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها**﴾ [543]

يقول صاحب الظّلال: "الافتتاح الّذي يلخص موضوع السّورة كلّه ويشير إلى جملة قضايا قوله تعالى: ﴿**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ [544] الحق وحده الحق الخالص، الّذي لا يتلبس بالباطل والّذي لا يحتمل الشّك والتّردد [545]".

هذه هي اللّمسة الأولى في مجالي الكون الهائلة وهي بذاتها اللّمسة الأولى للوجدان الإنسانيّ، وهو يقف أمام هذا المشهد الهائل يتملاه؛ ويدرك أنّه ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد أو حتى بعمد إلّا الله؛ وقصارى ما يرفعه النّاس بعمد أو بغير عمد تلك البنيان الصّغيرة الهزيلة القابعة في ركن ضيّق من الأرض لا تتعداه.

ومن هذا المنظور الهائل الّذي يراه النّاس، إلى المغيب الهائل الّذي تتقاصر دونه المدارك والأبصار: ﴿**ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ**﴾ [546] فإن كان علواً فهذا أعلى، وإن كانت عظمة فهذا أعظم، وهو الاستعلاء المطلق، يرسمه في صورة على طريقة القرآن في تقريب الأمور المطلقة لمدارك البشر المحدودة.

---

(542) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب (ص 189) بتصرف

(543) سورة الرعد، (الأية1-2)

(544) سورة الرّعد (الآية 1).

(545) ينظر: في ظلال القرآن (2043/4)

(546) سورة الرّعد، (الآية 2).

وهي لمسة أخرى هائلة من لمسات الرّيشة المعجزة، لمسة في العلو المطلق إلى جانب اللّمسة الأولى في العلو المنظور، تتجاوران وتتسقان في السّياق [547]".

قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ [548]

والخطوط العريضة في لوحة الأرض هي مدّ الأرض وبسطها أمام النّظر وانفِساحِها على مَداهُ، لا يهمّ ما يكون شكلها الكليّ في حقيقته، إنّما هي مع هذا ممدودة مبسوطة فسيحة، هذه هي اللّمسة الأولى في اللّوحة، ثم يرسم خط الرّواسي الثّوابت من الجبال، وخط الأنهار الجارية في الأرض. فتتم الخطوط العريضة الأولى في المشهد الأرضي، متناسقة متقابلة.

والمشهد الأول يتضمن حقيقة لم تعرف للبشر من طريق علمهم وبحثهم إلّا قريبًا. هي أنّ كل الأحياء وأولها النّبات تتألف من ذكر وأنثى، حتى النّباتات الّتي كان مظنونًا أنّ ليس لها من جنسها ذكور، تبين أنّها تحمل في ذاتها الزّوج الآخر، فتضم أعضاء التّذكير وأعضاء التّأنيث مجتمعة في زهرة، أو متفرقة في العود، وهي حقيقة تتضامن مع المشهد في إثارة الفكر إلى تدبر أسرار الخلق بعد تملي ظواهره.

والمشهد الثّاني مشهد اللّيل والنّهار متعاقبين، هذا يغشي ذاك، في انتظام عجيب، هو ذاته مثار تأمّل في مشاهد الطّبيعة، فقدوم ليل وإدبار نهار أو إشراق فجرٍ وانقشاع ليلٍ، حادث تهوّن الألفة من وقعِهِ في الحسّ، ولكنّه في ذاته عجب من العجب.

ونقف كذلك هنا وقفة قصيرة أمام التّقابلات الفنّية في المشهد، التّقابلات بين الرّواسي الثّابتة والأنهار الجارية، وبين الزّوج والزّوج في كل الثّمرات، وبين اللّيل والنّهار، ثم بين مشهد الأرض كلّه ومشهد السّماء السّابق، وهما متكاملان في المشهد الكونيّ الكبير الّذي يضمهما ويتألف منهما جميعًا [549].

---

(547) نفس المرجع (4/2043) بتصرف.

(548) سورة الرعد، (الآية 3).

(549) في ظلال القران (2045/4) بتصرف.

قال تعالى:﴿ **وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِن أَعنابٍ وَزَرعٌ وَنَخيلٌ صِنوانٌ وَغَيرُ صِنوانٍ يُسقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعضَها عَلى بَعضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ (550)

وهذه المشاهد الأرضية، فينا الكثيرون يمرون عليها فلا تثير فيهم حتى رغبة التّطلع إليها! إلّا أن ترجع النّفس إلى حيوية الفطرة والاتصال بالكون الّذي هي قطعة منه، انفصلت عنه؛ لتتأمله ثم تندمج فيه.

قال تعالى: ﴿**وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ**﴾ (551).

متعددة الشّيات، وإلّا ما تبين أنّها (قطع) فلو كانت متماثلة لكانت قطعة.. منها الطّيب الخصب، ومنها السّبخ النّكد، ومنها المقفر الجدب، ومنها الصّخر الصّلد، وكلّ واحدٍ من هذه وتلك أنواع وألوان ودرجات، ومنها العامر والغامر، ومنها المزروع الحيّ والمهمل الميت، ومنها الرّيان والعطشان (552).

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ ﴿٨﴾ عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ الكَبيرُ المُتَعالِ ﴿٩﴾سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّباتٌ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ يَحفَظونَهُ مِن أَمرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَومٍ سوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُم مِن دونِهِ مِن والٍ**﴾(553).

يقول صاحب الظّلال "...يقف الحسّ مشدوهًا يرتعش تحت وقع هذه اللّمسات العميقة في التّصوير، وتحت إيقاع هذه الموسيقى العجيبة في التّعبير، يقف مشدوهًا وهو يقفو مسارب علم الله ومواقعه؛ وهو يتبع الحمل المكنون في الأرحام، والسّر المكنون في الصّدور،

(550) سورة الرّعد، (الآية 4).

(551) سورة الرّعد (الآية 11).

(552) في ظلال القرآن (2047/4)

(553) سورة الرّعد (الآية 9 – 11).

والحركة الخفية في جنح اللّيل؛ وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر، وكلّ أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف، يتتبعه شعاع من علم الله، وتتعقبه حفظة تحصي خواطره ونواياه، ألّا إنّها الرّهبة الخاشعة الّتي لا تملك النّفس معها إلّا أن تلجأ إلى الله، تطمئن في حماه، وإنّ المؤمن بالله ليعلم أنّ علم الله يشمل كل شيء، ولكنّ وقع هذه القضية الكلّية في الحسّ، لا يُقاس إلى وقع مفرداتها كما يعرض السّياق بعضها في هذا التّصوير العجيب.

وأستعرض نموذجاً آخرَ من بدائع التّعبير والتّصوير في سورة الرعد في قوله تعالى: **﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَجيبونَ لَهُم بِشَيءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيهِ إِلَى الماءِ لِيَبلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ﴾** (554). المشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف؛ فدعوة واحدة هي الحق، وهي التي تحق، وهي التي تستجاب؛ انها دعوة الله والتوجه اليه وما عداها باطل. فهذا حال داع لغيره من الشركاء ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه وفمه مفتوح يلهث بالدعاء؛ يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه، وما هو ببالغه بعد الجهد واللهفة والعناء، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء. (555)

وفي قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوعًا وَكَرهًا وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصالِ﴾** (556) لأن الجو جو عبادة ودعاء فإن السياق يعبر عن الخضوع لمشيئة الله بالسجود وهو أقصى رمز للعبودية؛ ويضم إلى شخوص من في السّماوات والأرض ظلالهم كذلك. ليصبح السجود مزدوجاً: شخوص وظلال! وكل ما في الكون من شخوص وظلال جاثية خاضعة عن طريق الإيمان أو غير الإيمان كلها تسجد لله والخائبون يدعون آلهة من دون الله! وفي جو هذا المشهد العجيب يتوجه إليهم بالأسئلة التهكمية فيقول: **﴿قُل مَن رَبُّ**

(554) سورة الرّعد، (الآية 14).

(555) انظر: في ظلال القرآن (2052/4)

(556) سورة الرعد، (الآية 15)

السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [557] وهو سؤال لا ليجيبوا عنه فقد أجاب السياق من قبل. انما ليسمعوا الجواب ملفوظا، وقد رأوه مشهودا. [558]

قوله تعالى: ﴿سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾ [559].

التّقابل واضح في العبارة، إنّما تستوقفنا كلمة ﴿**سارِبٌ**﴾ وهي تكاد بظلّها تعطي عكس معناها، فظلّها ظلّ خفاء أو قريب من الخفاء، والسّارب: الذّاهب. فالحركة فيها هي المقصودة في مقابل الاستخفاء، هذه النّعومة في جرس اللّفظ وظلّه مقصودة هنا؛ كي لا تخدش الجوّ، جوّ العلم الخفيّ اللّطيف الذّاهب وراء الحمل المكنون والسّر الخافي والمستخفي باللّيل والمعقّبات الّتي لا تراها الأنظار، فاختار اللّفظ الّذي يؤدي معنى التّقابل مع المستخفيّ ولكن في لين ولطف وشبه خفاء [560].

(557) سورة الرعد، (الآية 16)

(558) انظر: في ظلال القرآن (2052/4)

(559) سورة الرّعد، (الآية 10).

(560) في ظلال القرآن، (2049/4)

الفصل الرّابع: تطبيقات المحسنات البديعيّة في سورة الرّعد.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم البديع، تعريفه، وتطوره.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

المبحث الثّالث: المحسنات المعنوية وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

المبحث الأول: علم البديع، تعريفه، وتطوره.

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: علم البديع لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تطور علم البديع

المطلب الأول: علم البديع لغة واصطلاحاً: هو الشّيء الجديد والحديث والغريب [561]، وإيجاد الشّيء واختراعه على غير مثال [562] حيث يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [563].

البديع اصطلاحًا: هو العلم الّذي يُعرف به وجوه حُسن الكلام؛ وذلك بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة [564].

شرح التعريف:

وجوه التّحسين أساليب وطرق معلومة وُضعت؛ لتزيين الكلام وتنميقه، وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان "ذاتيّ"، وتحسين الكلام بعلم البديع «عرضيّ» ووجوه التّحسين: إمّا معنوية، وإمّا لفظية، وأدخل المتأخرون فيهما أنواعًا كثيرة، فالبديع المعنويّ هو الّذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ، فيبقى مع تغيير الألفاظ [565].

المطلب الثاني: تطور علم البديع:

كان علم البديع في بداياته، سليقة لدى الكتّاب والأدباء العرب، ولم يكونوا يعرفونه بهذا الاسم، وإنّما كانوا يطبقونه في ما ينشئونه أيام جاهليتهم، أيام كانوا يجتمعون في الأسواق والأندية الأدبية، أمثال المربد وعكاظ وغيرها، وإن لم يكونوا قد عرفوه بعد، كعلم مستقل له حدوده ومصطلحاته الخاصة به، وظلّ علم البديع، كغيره من العلوم يتطور ويتوضح، حتى صار علمًا قائمًا بذاته، يعرف اليوم بعلم البلاغة الّتي تشمل ما نعرفه اليوم من علم المعاني وعلمي البديع والبيان [566].

---

(561) تهذيب اللغة (303/14).

(562) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: 04، 1407 هـ - 1987 م (1183/3).

(563) سورة البقرة، (آية 118).

(564) يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ) الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية – بيروت، ط: 01، 1423 هـ (137/3)

(565) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (298/1).

(566) ابن حجة الحموي، تقي الدّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: 837هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطّبعة: الطّبعة الأخيرة 2004م، مقدمة التحقيق (6/1)

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

وفيه تمهيد ومطلبين.

المطلب الأول: الجناس تعريفه وتطبيقاته في سورة الرعد

المطلب الثّاني: الفواصل تعريفها وتطبيقاتها في سورة الرعد

تمهيد

تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين: لفظية، ومعنوية

واللفظية: هي الّتي يكون التّحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة، وهو -وإن تبعه تحسين المعنى- ولكنّه أيضًا غير مقصود.

المعنوية: هي الّتي يكون التّحسين بها راجعًا إلى المعنى أصالة، وهو -إن تبعه تحسين اللفظ- غير مقصود.

وهذه المحسنات لا سيّما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن، إلّا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشّاعر، أو النّاثر مندوحة عنها؛ لذلك لا يجمل الاسترسال فيها، والولع بها؛ لأنّ المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين [567].

ومن المحسنات اللفظية "الجناس" و"الفواصل"[568].

المطلب الأول: الجناس تعريفه أقسامه وتطبيقاته في سورة الرعد

أولًا: الجناس:

أ) **تعريفه:** هو تشابه لفظين في النّطق، واختلافهما في المعنى [569].

ويقال له التّجنيس، والتّجانس، والمجانسة، ولا يستحسن إلّا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازى مصنوعة مطبوعة، مع مراعاة النّظير، وتمكن القرائن، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، حتى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام [570].

والجناس من فنون البديع اللفظية، ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز، فقد عده في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده وعرفه ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى [571].

---

(567) المنهاج الواضح للبلاغة (163/1).

(568) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (ص347).

(569) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 325)

(570) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 325).

(571) علم البديع (ص: 195).

ب) أقسامه:

ينقسم الجناس إلى نوعين: تام وناقص، فأمّا الجناس التّام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى [572]، ومثاله: قول الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ [573] فقد اتفقت لفظتا (ساعة) في الآية الكريمة في الوجوه – الأربعة المذكورة، مع اختلافهما في المعنى؛ لأنّه قد أريد بالأولى (القيامة) وبالثّانية (السّاعة الزّمنية) [574].

وأمّا الجناس النّاقص: وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النّوع والهيئة والتّرتيب، مثل: "جَوَابٍ" و"جَوانح" ومثل: "صالِحٍ" و"صوالح" ومثل: "سابح" و"مَسَابح"[575].

ج) تطبيقات الجناس في سورة الرّعد.

ومن تطبيقات الجناس في سورة الرعد

1- **قوله تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ وَالنّورُ﴾** [576]

الجناس في هذه الآية بين "يستوي" و "تستوي" ويُسمّى بالجناس غير التّام.

(572) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (326/1)

(573) سورة الرّوم، (الآية 55).

(574) أنظر: البلاغة العربية (485/2).

(575)أنظر: البلاغة العربية (2/492).

(576) سورة الرّعد، (الآية 16).

2- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَد أَرسَلنا رُسُلًا مِن قَبلِكَ وَجَعَلنا لَهُم أَزواجًا وَذُرِّيَّةً وَما كانَ لِرَسولٍ أَن يَأتِيَ بِآيَةٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ ﴿٣٨﴾ يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ**﴾ (577).

ورد الجناس في هذه الآية، في موضعين:

أولهما الجناس الناقص في قوله (وَلَقَد **أَرسَلنا رُسُلًا**) وهو بين اللفظ (**أَرسَلنا**) واللفظ (**رُسُلًا**) فالأول من فعل الماضي والثاني من الاسم.

والثاني: تام في فاصلتي الآيتين المذكورتين بين (كتاب) (والكتاب)

قال الزمخشري إنّ لفظة ﴿**كِتابٌ**﴾ تكرر، وذلك؛ لاقتضاء المعنى؛ فالكتاب في الأولى يُقصَد به معنى لكل وقت حُكمٍ يكتب على العباد؛ أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم"، والكتاب في الثّانية معناه: "أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ؛ لأنّ كل كائن مكتوبٌ فيه"(578).

3- قوله تعالى:﴿ **وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ**﴾ (579)

ورد جناس ناقص وهو في اللفظ (**يَصِلونَ**) و (**يوصَلَ**).

4- قوله تعالى: ﴿ **لِلَّذينَ استَجابوا لِرَبِّهِمُ الحُسنى وَالَّذينَ لَم يَستَجيبوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرضِ جَميعًا**﴾ (580) جناس ناقص بين لفظ (استجابوا و(يستجيبوا) للاختلاف في عدد الحروف.

5- وفي قوله تعالى: ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا**﴾ (581) جناس ناقص بين لفظ (سالت) و (السيل).

---

(577) سورة الرعد، (الآية 38-39)

(578) ينظر الكشاف (534/2).

(579) سورة الرعد، (الآية 21)

(580)) سورة الرعد، (الآية 18)

(581) سورة الرعد: (الآية،17)

المطلب الثاني: الفواصل القرآنية وتطبيقاتها في سورة الرعد

الفاصلة معناها والفرق بينها وبين السجع:

الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها... والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة"[582]

وقد جمع الزركشي أقوال العلماء في هذا الباب حيث قال:"قال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي قال أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا.

فإمّا مناسبة فواصل فلقوله تعالى: {كتاب فصلت آياته} وإمّا تجنب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى؛ ثم فرقوا بينهما فقالوا: السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها"[583]

(582) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ)، النكت في إعجاز القرآن، (ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام) ط3، دار المعارف بمصر (98/1)

(583) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (54/1)

تطبيقات الفواصل في سورة الرعد:

وإذا تتبعنا حروف الروي في فواصل الآيات من سورة الرعد فإننا سنجد تنويعاً في الفواصل أي تنويعاً في حروف الروي التي تنتهي بها كل آية من آيات هذه السورة.

ومما يأسر الأسماع ويجذب القلوب ويشنف الآذان أن جميع الفواصل التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة يوقف عليه بالسكون مسبوقاً بحرفي مد هما الألف والواو، وذلك علامة على وحدة الجرس في حرف الروي وما قبله للسكون بعد المد وقعاً ترتاح له الأذن.

وهناك ظاهرة تستوقف الباحث المتأمل في نظم الفواصل في هذه السورة الكريمة وتلك الظاهرة هي تماسك البناء فإننا نجد الآيتين والثلاث آيات والأربع آيات تتوالى على حرف واحد روي واحد ثم يقطع هذا الحرف في آيتين بحرف آخر أو بفاصلة تبدو أنها منفردة ولكن القارئ أو السامع سيجد نفسه بعد قليل في الفاصلة التالية وقد عاد إلى الفاصلة التي سبقت بآيتين أو بآية واحدة ثم يكون هنالك عود إلى هذا الحرف بعد آيتين أو ثلاث، ومعنى ذلك تمام الاتصال وتمام ائتلاف وجمال النظم الذي يجعل السورة الكريمة بناء منسقاً متماسكاً تأخذ كل آية بأختها وتدل أولياتها على أخرياتها.

إن الحروف التي بنيت عليها الفواصل في سورة الرعد حروف معدودة من حروف الهجاء ومنها النون، والدال، والباء، والراء. والمتأمل يري أن هذه الحروف تميزت بالوقف الذي سبق على أعذب مقطع، وأسهل موقف وشارع فيه مقابلة المجرور بالمنصوب، والمرفوع بالمجرور، من ذلك قول الحكيم سبحانه: ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾[584] يقابلها – أعلى الآية – قوله تعالى:﴿**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾[585] فلفظ الفاصلة في الأولى مجرور، وفي الثانية منصوب، وقوله عز اسمه:﴿**وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾[586] لفظ هذه الفاصلة مرفوع، قوبل بفاصلة لفظها مجرور، من قوله:﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[587].

---

(584) سورة الرعد، (الآية11)

(585) سورة الرعد، (الآية 12)

(586) سورة الرعد، (الآية 18)

(587) سورة الرعد، (الآية 19)

ومن أبرز خصائص حروف الفاصلة في السورة تناسب الحروف في مخارجها وانسجامها مع المد الناشئ في آخر كل آية الذي ينشأ عنه التأثير الروحي في جو السورة العام من خلال النغم الممتد عبر كل مقطع، وفي هذا ما يحدث في النفس نوعاً من الاطمئنان والراحة النفسية، وبنظرة شاملة إلى مقاطع الفاصلة في السورة كلها يحس المتأمل بعد التفاوت في مخارج الحروف وكل حرف جاء ملائماً لما بعده في السياق من حيث الرصيف والبناء.

ومن حيث التناسق الصوتي في الشدة واللين والتفخيم والترقيق. خذ مثلا قوله تعالى:﴿**وَلَـــكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنونَ**﴾ (588) وتأمل مخارج الحروف في لفظة يؤمنون كيف يشكل الحرف إيحاء صوتياً عذباً. لا يمل ترداده إذ جاءت المخارج متناسبة في القرب والبعد فالياء من وسط اللسان والهمزة من أقصى الحلق والميم من الشفتين والنون من طرف اللسان والواو من الجوف حتى لا ينقطع النفس وحتى يظل الجرس مديداً لا يمل. (589)

(588) سورة الرعد، (الآية1)

(589) أنظر: محمد بن سعد الدبل، النظم القرآني في سورة الرعد، ط2، 2010م، (ص66) (د.محمد بن سعد بن حسن الدبل، ولد عام 1363هـ / 1944م في الحريْق، وحصل على الليسانس في اللغة العربية من كلية اللغة العربية بالرياض 1388هـ، والماجستير في البلاغة والنقد من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1398هـ، والدكتوراه مع مرتبة الشرف في البلاغة والنقد من نفس الجامعة 1402هـ)

المبحث الثّالث: المحسنات المعنويّة وتطبيقاتها في سورة الرّعد.

ومما وجدته من هذه المحسنات

1- **الطباق**: تعريفه ودلالته في سورة الرعد

2- **المقابلة**: تعريفها ودلالتها في سورة الرعد

3- **الاحتراس**: تعريفه ودلالته في سورة الرعد

4- **التقسيم**: وتطبيقاته في سورة الرعد

أولًا: الطباق:

تعريفه: "الجمع بين الضّدين، في كلام أو بيت شعر كالإيراد والإصدار، والليل والنّهار، والبياض والسّواد" (590).

"والطباق في اصطلاح البلاغيين: (الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة).

وهذا التقابل: إما أن يكون بلفظين من نوع واحد؛ كأن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، وإما أن يكون بلفظين من نوعين مختلفين"(591)

أقسامه: ينقسم الطباق – بحسب الإثبات والنفي، والأمر والنهي– إلى قسمين: طباق إيجاب وطباق سلب.

أ– طباق الإيجاب:

"وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا نحو: خير المال عين ساهرة لعين نائمة. فالقول مشتمل على الشيء وضده (ساهرة ونائمة).

ب– طباق السّلب:

وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، نحو قوله تعالى:﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (592) فالفعل (**يعلمون**) أثبت في الطرف الأول من الطباق ونفي ب (**لا**) في الطرف الثاني.

ويكون طرفاه أمرا ونهيا كما في قوله تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ (593) فالطرف الأول نهي (**لا تخشوا**)، والطرف الثاني أمر (**إخشون**)"(594)

---

(590) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (156/1).

(591) أنظر: البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: 1429 هـ) المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر، الطبعة: سنة 2006 م (255/1)

(592) سورة الزمر، (الآية 9)

(593) سورة المائدة، (الآية 44)

(594) علوم البلاغة، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، ط 1، 2003 م، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان (68/1)

وإذا نظرنا إلى الطّباق من حيث طبيعته وذاته، فهو نوعان: نوع يكون بين الألفاظ المفردة، ونوع يكون بين مدلول التّراكيب، فالّذي يقع في الألفاظ المفردة فهو نحو التّقابل (من حيث الضّدية) بين الليل والنّهار والباطن والظّاهر، والظّهر والبطن؛ والنّوع الثّاني: هو الطّباق الّذي يقع بين مدلول التّراكيب، ولا بد أن ينضوي تحت هذا طباق المفردات، ويكون واقعًا منه موقع التّفصيل من الجملة [595].

الطّباق في سورة الرّعد.

ورد الطّباق في سورة الرّعد، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ**﴾ [596].

هنا طباق إيجاب بين اسمين ﴿**اللَّيلَ**﴾ و ﴿**النَّهارَ**﴾؛ لأنّ الضّدين لم يختلفا إيجابًا وسلبًا [597].

وورد في قوله تعالى ﴿**وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِن أَعنابٍ وَزَرعٌ وَنَخيلٌ صِنوانٌ وَغَيرُ صِنوانٍ يُسقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعضَها عَلى بَعضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ**﴾ [598].

إنّ الطّباق في هذه الآية في اللفظ ﴿**صِنوانٌ**﴾ ولفظ ﴿**وَغَيرُ صِنوانٍ**﴾ من اسمين ويسمى طباق سلب؛ لأنّ فيه الضّدين يختلفان إيجابًا وسلبًا.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾ [599]؛ فالطّباق في هذه الآية بين الفعلين ﴿**تَغيضُ**﴾ و ﴿**تَزدادُ**﴾ وهو طباق إيجاب، لأنّ الضّدين فيه لم يختلفا إيجابًا وسلبًا، والمعنى في قوله ﴿**وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ**﴾ ما تنقص وتزيد.

---

(595) بتصرف: عبد الله بن الطّيب بن عبد الله بن الطّيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (المتوفى: 1426 هـ) المرشد إلى فهم أشعار العرب، الناشر: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصّفاة – الكويت، الطّبعة: الثّانية سنة 1409 هـ - 1989 م (273/2).

(596) سورة الرّعد (آية 3).

(597) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (84/5).

(598) سورة الرّعد (آية 4).

(599) سورة الرّعد (آية 8).

وقوله تعالى ﴿**عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ الكَبيرُ المُتَعالِ**﴾ [600]. الطّباق من اسمين ﴿**الغَيبِ**﴾ و ﴿**الشَّهادَةِ**﴾ طباق إيجاب.

وقوله تعالى ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾ [601].

جمعت هذه الآية كثيرًا من المترادفات الّتي بينها طباق إيجاب وهي بين فعلين هما ﴿**أَسَرَّ**﴾ و ﴿**جَهَرَ**﴾، ﴿**مُستَخفٍ**﴾ و ﴿**سارِبٌ**﴾ وبين أسمين ﴿**اللَّيلِ**﴾، ﴿**النَّهارِ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسجُدُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوعًا وَكَرهًا وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصالِ**﴾ [602]. اشتملت هذه الآية على طباق ايجاب في قوله (**السَّماواتِ وَالأَرضِ**) و (**طَوعًا وَكَرهًا**) وهو طباق إيجاب بين اسمين؛ والمعنى في ﴿**طَوعًا وَكَرهًا**﴾ أي طائعين وكارهين، المؤمن يسجد طوعًا والكافر يسجد كرهًا. كذلك بين(**الغدو**) (**والآصال**)

وقوله تعالى: ﴿**كَذلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ**﴾ [603]. هنا اشتمل في معنى الآية الشّيء وضده ﴿**الحَقَّ وَالباطِلَ**﴾ وسمي الجمع بين الشّيء وضده في هذه الآية طباق إيجاب.

وقوله تعالى: ﴿**يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ**﴾ [604]. وهنا طباق بين فعلين: لفظ ﴿**يَمحُو**﴾ و ﴿**يُثبِتُ**﴾ ويسمى طباق الإيجاب؛ لأنّ الضّدين فيه لم يختلفا إيجابًا ولا سلبًا.

---

(600) سورة الرّعد (آية 9).

(601) سورة الرّعد (آية 10).

(602) سورة الرّعد (آية 15).

(603) سورة الرّعد (آية 17).

(604) سورة الرّعد (آية 36).

والمعنى كما ذكره صاحب الكشاف: "﴿**يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ**﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنّهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل وَيُثْبِتُ غيره. وقيل: يمحو كفر التّائبين ومعاصيهم بالتّوبة، ويثبت إيمانهم وطاعتهم. وقيل: يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضًا من الأناسي وسائر الحيوان والنّبات والأشجار وصفاتها وأحوالها"[(605)].

والأمثلة كثيرة في هذه السورة مما يدل على جودة السبك وحسن النظم كما قال تعالى:﴿ **كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ**﴾ **(606)**

(605) ينظر: الكشاف (534/2).

(606) سورة هود، الآية (1)

ثانيًا: المقابلة:

1- تعريفها: هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة [607]. وعرفها المراغي حيث قال:" انها نوع من الطباق؛ وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب."[608]

2- الفرق بين الطباق والمقابلة:

المقابلة غير الطّباق، أمّا الطّباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله [609]، لكن المقابلة تكون بين أكثر من ذلك، ولا يكون الطّباق إلّا بين الأضداد، والمقابلة تكون بين الأضداد وغير الأضداد، ولا يكون الطّباق إلّا بين ضدّين فحسب، والمقابلة تكون بين أكثر من اثنين [610].

تطبيقات المقابلة في سورة الرعد

وردت المقابلة في سورة الرّعد في قوله تعالى: ﴿**سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِاللَّيلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾ [611].

في هذه الآية يوجد مبالغة مدمجة بالمقابلة، وفيها تعريض بالتّهديد للمشركين المتآمرين على النّبي ﷺ. والاستخفاء: هنا الخفاء، فالسّين والتّاء للمبالغة في الفعل مثل استجاب... والسّارب: اسم فاعل من سرب إذا ذهب في السّرب- بفتح السّين وسكون الرّاء- وهو الطّريق. وذكر الاستخفاء مع الليل لكونه أشد خفاء، وذكر السّروب مع النّهار؛ لكونه أشد ظهورًا. والمعنى: أنّ هذين الصّنفين سواء لدى علم الله تعالى"[612]

وفي قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ العِقابِ** ﴿٦﴾﴾ فالمقابلة بين (لذو مغفرة) و (لشديد العقاب) ذلك لأن الله يعذر للناس على جهلهم وظلمهم ويغفر لهم إذا تابوا وإن أبَوْا عاقبهم عقاباً شديداً ،والله أعلم.

---

(607) محمد أحمد قاسم محيي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني": المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان. (ص: 72).

(608) ينظر: علوم البلاغة (1/322)

(609) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (ص325).

(610) علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" (ص: 72).

(611) سورة الرّعد (آية 10).

(612) ينظر: التّحرير والتّنوير (13/99).

ومن جمال المقابلة في سورة الرعد ؛ جزاء الوفاء بالعهد وعقاب نقضه في قوله تعالى : **الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ ﴿٢٢﴾ جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها وَمَن صَلَحَ مِن آبائِهِم وَأَزواجِهِم وَذُرِّيّاتِهِم وَالمَلائِكَةُ يَدخُلونَ عَلَيهِم مِن كُلِّ بابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدّارِ﴿٢٤﴾ وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللَّهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ فِي الأَرضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ ﴿٢٥﴾**[613] جملة (أولئك لهم اللعنة) خبر عن (والذين ينقضون) وهي مقابل جملة (أولئك لهم عقبى الدار).والبعد عن الرحمة والحزي وإضافة سوء الدار كإضافة عقبى الدار. والسوء ضد العقبى"[614]

في قوله تعالى: ﴿**قُل إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدي إِلَيهِ مَن أَنابَ ﴿٢٧﴾** إن لعدم إيمانهم أسبابا خفية يعلمها الله قد أبهمت بالتعليق على المشيئة في قوله: (يضل من يشاء) منها ما يومىء إليه قوله في مقابلة (ويهدي إليه من أناب). وذلك أنهم تكبروا وأعرضوا حين سمعوا الدعوة إلى التوحيد فلم يتأملوا، وقد ألقيت إليهم الأدلة القاطعة فأعرضوا عنها ولو أنابوا وأذعنوا لهداهم الله ولكنهم نفروا"[615]

وفي قوله تعالى :﴿**اللَّهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغيضُ الأَرحامُ وَما تَزدادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ** ﴿٨﴾ [616] تغيض: تنقص، والظاهر أنه كناية عن العلوق لأن غيض

(613) سورة الرعد، (الآيات 20-25)

(614) انظر: التحرير والتنوير، (133/13)

(615) التحرير والتنوير (136/13)

(616) سورة الرعد، الآية (8)

الرحم انحباس دم الحيض عنها، وازديادها: فيضان الحيض منها؛ والازدياد: التعدد أي ما يكون في الأرحام من جنين واحد أو عدة أجنة"[617]

وهكذا نلاحظ أن أسلوب المقابلة ورد بمعظم سورة الرعد، وهو طابع الآيات المكية والقرآن كله هو حجة لنا أو علينا. ولم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها وظهر بأسلوب المقابلة نفي التسوية بين أهل الإيمان وأهل الكفر والضلال.

ثالثا: الاحتراس [618]

وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، أو يوهم خلاف المقصود، فيتنبه له فيأتي بما يخلصه من ذلك"[619]

واعتبره السيوطي لوناً من ألوان الإطناب حيث قال " التكميل ويسمى بالاحتراس، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو قوله تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [620] فإنه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله: (أعزة) ومثله: ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [621] لو اقتصر على(أشداء) لتوهم أنه لغلظهم، وكذلك قوله تعالى ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**﴾ [622] فقوله من غير سوء: احترس عن البهق والبرص"[623]

وسأذكر فن الاحتراس في سورة الرعد؛ قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَعجِلونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَقَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَديدُ**

---

(617) التحرير والتنوير (97/13)

(618) هناك من يعده لونا من ألوان الاطناب

(619) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ)، (تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف) الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي. (ص245)

(620) سورة المائدة، (الآية :54)

(621) سورة الفتح، (الآية: 29)

(622) سورة طه، الآية :22

(623) انظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) ج4، ط، 1394هـ/ 1974 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب (251/3)

العِقَابِ﴾ [624] جملة **(وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ)** احتراس لئلا يحسبوا أن المغفرة المذكورة مغفرة دائمة تعريضا بأن العقاب حال بهم من بعد"[625]

وفي قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾** [626]الاحتراس بقوله (بقدرها) أي: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار؛ وإلا فلو طما واستحال سيلا لاجتاح الأخضر واليابس، ولأهلك الحرث والنسل. [627]

وفي قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [628]

فن الاحتراس في قوله تعالى **(صبروا ابتغاء وجه ربهم)** فقد انتفى بقوله ابتغاء وجه ربهم أن يكون صبرهم ناشئا عن حب الجاه والشهرة، أو ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل لئلا يشمت به الأعداء"[629]

رابعا: التقسيم

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزّأته. أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد [630].

ومن أوائل من عرض له أبو هلال العسكري وفسره بقوله: «التقسيم الصحيح: أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾** [631] وهذا أحسن تقسيم لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع،

(624) سورة الرعد، (الآية :6)
(625) التحرير والتنوير: (94/13)
(626) سورة الرعد، (الآية: 17)
(627) إعراب القرآن وبيانه، (113/5)
(628) سورة الرعد (الآية: 22)
(629) إعراب القرآن وبيانه (116/5)
(630) انظر: علم البديع (ص134)
(631) سورة الرعد، (الآية :12)

ليس فيهم ثالث"[632] وقد قدم الخوف على الطمع لأن الأمر المخوف من البرق يقع في أول برقه، والأمر المطمع إنما يقع من البرق بعد الأمر المخوف. وذلك ليكون الطمع ناسخا للخوف، لمجيء الفرج بعد الشدة [633].

وعرفه الخطيب القزويني في كتابه التلخيص بقوله: "والتقسيم ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه التعيين"[634]

ومن حسن التقسيم في سورة الرعد ما ذكره الله تعالى من تعداد لصفات المؤمنين قال تعالى: ﴿**الَّذينَ يوفونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضونَ الميثاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذينَ يَصِلونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخافونَ سوءَ الحِسابِ ﴿٢١﴾وَالَّذينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**﴾[635] ثم اردفه بصفات المخالفين المفسدين، قال تعالى ﴿**وَالَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللَّهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ وَيَقطَعونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفسِدونَ فِي الأَرضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سوءُ الدّارِ**﴾ [636] وذكر جزاءهم في مقابلة جزاء المؤمنين.

(632) انظر: الصناعتين (ص 341)

(633) علم البديع (ص134)

(634) انظر: التلخيص للقزويني (ص 364)

(635) سورة الرعد، الآية (20-21)

(636) سورة الرعد، الآية (25)

الخاتمة

وتحتوي على نتائج البحث والفهارس الفنية

نتائج البحث

من خلال دراستي لموضوع: النّكات البلاغيّة ودلالاتها في سورة الرّعد، توصلتُ إلى النتائج التالية:

1. بينت الدراسة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، من خلال الوقوف على التّطبيقات البلاغيّة ودلالاتها في سورة الرّعد، ومن ذلك:

أ- ورد بسورة الرّعد الكثير من المؤكّدات التي تتغيّر وتتنوّع بحسب حال المخاطب، وطريقة إلقاء الخبر إليه بما يناسبه، ومن هذه الأدوات: (إنَّ)، ضمير الفصل (هُوَ)، (أمَّا) حرف التّنبيه (ألا)، (قد)، الجملة الإسمية، تقديم الفاعل من حيث المعنى، أسلوب القصر.

ب- وردت صيغة فعل الأمر (قل) تسع مرات في سورة الرّعد

ج- ورد بسورة الرّعد العديد من الأساليب البلاغية، منها أسلوب الاستفهام الاستنكاري، والاستفهام بصيغة التعجب.

د- للاسم الموصول أغراض كثيرة يؤتى من أجلها منها: قصد التّعظيم والحث عليه، تفخيم الأمر، الإيماء والإشارة الى معرفة الخبر، وقد ورد كلّ ذلك بالسورة الكريمة.

هـ- الرد على منكري البعث وهو عرض مستقل في هذه السورة وقد أدمج خلال الاستدلال على الوحدانية.

و- ورد أسلوب نفي التسوية المؤيد بالحجة

ز- ورد الاستفهام الإنكاري التكذيبي والتوبيخي، الذي يدل على الثقة في النفس المخاطبة وإحراج المخاطب.

ح- ورد أسلوب التقديم والتأخير ليكشف عن بلاغة الإعجاز البياني في القرآن الكريم

ط- ورد التعبير بالفعل المضارع الذي يفيد التجديد والاستمرار

ي-ومن الآثار البلاغية للصور البيانية في سورة الرعد:

- التغاير في الألفاظ والتراكيب.
- استخدام الألفاظ المعبرة الموحية ذات التناسق العجيب بين المدلول والمعنى.
- التكرار المفيد والتناسق بين الألفاظ.
- ظاهرة التلاؤم في الألفاظ والمعاني، وفي جو السورة العام.
- اشتمال السورة على الكثير من الأمثال والتشبيهات، وأثر ذلك في تلاحم أجزائها.

- أسلوب الإيجاز والإطناب على حسب ما يستدعي المقام.
- دقة التصوير في أسلوب الحقيقة والمجاز.
- زيادة المعنى قوة ووضوحا وإيحاءً.

التوصيات:

1) ضرورة دراسة البيان القرآني من سور أخرى من باب إظهار النّكات البلاغية وأسرار علوم البلاغة العربية. والكشف عن الإعجاز القرآني.

فهرس المراجع

1. **القرآن الكريم**

2. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين، **لسان العرب**، ط: 03 - 1414 هـ، دار صادر – بيروت

3. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته

4. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م.

5. أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، (ت:287هـ) **كتاب السنة**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط:01، 1400هـ، المكتب الإسلامي – بيروت

6. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ

7. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: 230هـ) **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 01، 1410 هـ - 1990م

8. أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: 307هـ)، **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، ط:01، 1404 – 1984، دار المأمون للتراث – دمشق.

9. الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ) **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان داووي، ط:01، دار القلم – بيروت، 1412 هـ

10. الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1415هـ

11. الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر، (المتوفى: 403هـ) **كتاب التمهيد**، تحقيق: رتشرد يوسف مكارثي، جامعة الحكمة بغداد- المكتبة الشّرقية بيروت، 1957م

12. البرمكي، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت

13. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ)، نظم **الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج:22، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت

14. بكري شيخ أمين، البلاغة **العربية في ثوبها الجديد**- علم المعاني، دار العلم للملايين، ط5، 1998م، بيروت.

15. البيضاوي، ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر، **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**: المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، د.ت

16. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ) **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط:02، 1413هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع

17. الثّعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت: 427هـ) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: 01، 1422، هـ - 2002 م، دار إحياء التّراث العربي، بيروت – لبنان

18. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، (ت: 255هـ) **البيان والتّبيين**، تحقيق زكريا عميرات، دار الفكر العربي 2000م.
19. جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط:03، ج:4، 1407 هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407 هـ
20. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت: 471هـ) **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: 03، 1413هـ - 1992م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.
21. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت: 816هـ) **كتاب التعريفات** ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، 1403هـ -1983م
22. الجناجيُ، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق (ت: 1429 هـ) **البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع**، ط: سنة 2006 م، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر
23. الجندي، درويش، نظرية **عبد القاهر في النّظم**، مكتبة نهضة مصر بالفجالة،1960م
24. الحافظ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، ط: 01، 1406 – 1986، دار الرشيد – سوريا
25. حامد عوني، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت
26. حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، **البلاغة العربية**، ج2، ط 1، 1416 هـ - 1996 م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت
27. حجازي، محمد محمود ، **التّفسير الواضح**، ط10، دار الجيل الجديد – بيروت، 1413 هـ
28. الحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (المتوفى: 837هـ) **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شقيو، ط: 2004م، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت
29. الخالدي صلاح عبد الفتاح، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، ط:01، 1437هـ-2016م دار الفاروق- عمان
30. الدبل، محمد بن سعيد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، ط2، 2010م، عالم الكتب.
31. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، **اعراب القرآن وبيانه**، ط: 04، 1415 هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)
32. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (11/1)
33. الرازي، الإمام محمد بن العلامة ضياء الدّين عمر، **تفسير الفخر الرّازي المشهور بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط1 1401هـ- 1981م
34. الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن (ت: 384هـ)، **النكت في إعجاز القرآن**، (تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام) ط3، دار المعارف بمصر
35. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، (ت: 311هـ) **معاني القرآن وإعرابه**، ط:01، 1408 هـ - 1988 م، عالم الكتب – بيروت.
36. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط 2، 1418 هـ، دار الفكر المعاصر - دمشق

37. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 01، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

38. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط: 15، أيار / مايو 2002 م.

39. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) **المفصل في صنعة الإعراب**، ط: 01، 1993م، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت.

40. السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، (محاضرات مفرغة)

41. السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين (ت: 773 هـ) **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: 01، 1423 هـ - 2003 م المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

42. السّمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ)، **بحر العلوم**، د.ت، (2 / 227).

43. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ) **تفسير القرآن**، (تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم)، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: 01، 1418هـ-1997م

44. سيد قطب، **التّصوير الفني في القرآن الكريم**، ط 17، 2004م، دار الشّرق، القاهرة

45. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق-القاهرة، ط:26، (ج:6)،1418هـ-1997م

46. السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتّوزيع، د. ت

47. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) ج4، ط، 1394هـ/ 1974 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

48. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت: 911هـ) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المكتبة العصرية – لبنان-صيدا.

49. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ) **فتح القدير**، ط: 01- 1414 هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت

50. الصّابوني، محمد علي، **صفوة التّفاسير**، دار الصّابوني للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط:01، 1417 هـ - 1997 م

51. الصابوني، محمد علي، **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة من اهل العرفان – بيروت، ط:03، 1400 هـ - 1980م

52. صافي، محمود بن عبد الرحيم (ت: 1376هـ) **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، ط: 04، 1418 هـ، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت.

53. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، ط: 01، 1420 هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة.

54. عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، ط2، دار النّفائس للنشر والتوزيع- الأردن، 1429هـ-2009م.

55. عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ) **تحرير التحبير في صناعة الشّعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي

56. عبد الكريم يونس الخطيب، **التّفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت

57. عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ط:17، 1426هـ-2005م، مكتبة الآداب

58. عتيق، عبد العزيز، (ت:1336هـ)، **علم المعاني** ط1، 1430 هـ – 2009 م، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

59. عتيق،عبد العزيز، (ت: 1396 هـ) **علم البيان**، ب. ط 1405 هـ – 1982 م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان

60. العز بن عبد السّلام، **تفسير القرآن** (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، دار ابن حزم للنشر، بيروت، 1416هـ- 1996م

61. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو 395هـ) **الصّناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419 هـ.

62. العمادي، محمد بن محمد (ت 951هـ)، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار المصحف، مكتبة ومطبعة عبد الرّحمن محمد، القاهرة، د.ت

63. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، 1429 هـ – 2008 م عالم الكتب

64. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ) **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 04، 1407 هـ – 1987 م، دار العلم للملايين – بيروت

65. القاسمي،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ) ،**محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: 01 – 1418 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت

66. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: 671هـ) **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:02، 1384هـ – 1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة

67. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: 03، دار الجيل – بيروت

68. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ) **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط: 03.

69. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ) **لطائف الإشارات** (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط:03، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،

70. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: 646هـ) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 01، 1406 هـ – 1982م، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

71. كعب بن زهير، **ديوان كعب بن زهير**، (تح: علي فاعور)، بيروت، مكتبة الكتب العلمية، 1997م

72. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، تفسير الماوردي، **النكت والعيون** تحقيق: السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان

73. المباركفوري، صفي الرحمن (ت: 1427هـ)، **الرحيق المختوم**، ط:01، دار الهلال – بيروت، د.ت،

74. المجذوب، عبد الله بن الطّيب بن عبد الله بن الطّيب بن محمد بن أحمد بن محمد (ت: 1426 ه) **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، ط: 02، 1409 ه - 1989 م، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصّفاة – الكويت

75. محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، **علوم البلاغة** -البديع والبيان والمعاني- ط: 01، 2003 م المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان.

76. محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، **علوم البلاغة**، ط 1، 2003 م، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان

77. محمد الطّاهر بن محمد بن محمد بن عاشور التّونسي (ت 1393ه)، **التّحرير والتّنوير** (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدّار التّونسية للنشر، تونس، 1984م

78. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354ه)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تح: محمود إبراهيم زايد، ط: 01، 1396ه، دار الوعي – حلب

79. محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: 1316ه) **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، تحقيق: محمد أمين الصّناوي، ط: 01 - 1417 ه، دار الكتب العلمية – بيروت

80. محمد سيد طنطاوي، **التّفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ت

81. محمد عزة دروزة (ت 1404ه)، **التّفسير الحديث ترتيب السّور حسب النّزول**، دار الغرب الإسلامي، ط:02، 1421ه-2000م، د

82. مختار عطية، **التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية**، ط1، 2005م الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

83. المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365ه- 1946م

84. مسكين الدارمي، **ديوان الشاعر مسكين الدارمي**، تحقيق: كارين صادر، ط1، 2000م، بيروت، دار صادر.

85. مصطفى، محمد صالح علي، **تفسير سورة الرعد**، ط:01، 1408ه - 1988م، دار النفائس للنشر والتوزيع – الرياض

86. المؤيد باللّه، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي، (ت: 745ه) **الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط: 01، 1423 ه. المكتبة العنصرية – بيروت

87. النّسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: 303ه) **السّنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط: 01، 1421 ه - 2001 م، مؤسسة الرسالة – بيروت

88. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت

89. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشّافعي، **تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن**، تح: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النّجاة، بيروت، 1421ه- 2001م

90. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت: 370ه)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط:01، 2001م، دار إحياء التراث العربي - بيروت

91. همام بن غالب، **ديوان الفرزدق**، (تح: علي فاعور)، ط1، 1987م، بيروت، دار الكتب العلمية

92. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت: 468ه) **التفسير الوسيط للواحدي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:01، 1415 ه - 1994 م

93. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط1، 1411هـ، دار الكتب العلمية – بيروت

94. يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، (ت: 643هـ) **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط: 01، 1422 هـ - 2001 م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

فهرس الأعلام

1) **ابن عبد السَّلام**، (577 – 660 هـ = 1181 – 1262 م) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة 599 هـ فأقام شهرًا، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، من كتبه " التفسير الكبير" وغيره.

2) **أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي** (468هـ) المتوي صاحب التفاسير المشهورة؛ كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم، منها " البسيط " في تفسير القرآن الكريم، وكذلك " الوسيط " وكذلك " الوجيز ".

3) **أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي** (المتوفى: 681هـ) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستمائة وسمع بها " صحيح البخاري " من أبي محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية. روى عنه المزي والبرزالي والطبقة، وكان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوي جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع حلو المذاكرة وافر الحرمة، فيه رياسة كبيرة، له كتاب " وفيات الأعيان " وقد اشتهر كثيراً وله مجاميع أدبية.

4) **أبو هلال العسكري** (310 – 395 هـ / 922 – 1004م) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وتلميذه، تآليفه كثيرة منها: (ديوان المعاني)، و (الفروق في اللغة)، و (جمهرة الأمثال)، و (كتاب الصناعتين)

5) **أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي** (1295 – 1362 هـ = 1878 – 1943 م) أديب معلم مصري، من أهل القاهرة، ووفاته بها. كان مديرا لثلاث مدارس أهلية، واحدة للذكور واثنتان للإناث، تتلمذ للشيخ محمد عبده، وصنف كتبا منها (أسلوب الحكيم – ط) مجموع مقالات، و (جواهر الأدب – ط) و (جواهر البلاغة – ط) و (ميزان الذّهب – ط) و (مختار الأحاديث النبويّة – ط).

6) **أحمد بن مصطفى المراغي** (000 – 1371 هـ = 000 – 1952 م)، مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام) رسالة، و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، و(تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و(علوم البلاغة)

7) **الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم**، (338 هـ - 402 هـ / 950م - 1013م)المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره.

8) **الخطابي** (319 هـ - 388 هـ / 931م - 988م) حمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن خطاب الإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الخطابي البستي، وَيُقَال إِنَّه من سلالة زيد بن الْخطاب بن نفَيْل الْعَدْوى وَلم يثبت ذَلِك كَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْه والْحَدِيث واللغة، أَخذ الْفِقْه عَن أَبى بكر الْقفال الشاشي وأبى علي بن أَبى هُرَيْرَة.

9) **سيد قطب بن إبراهيم** (1324 - 1387 هـ = 1906 - 1967 م) مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثّقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف.

10) **عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن الْجُرْجَانِيّ النّحْوِيّ** (ت:471) الإِمَام الْمَشْهُور أَبُو بكر. أَخذ النّحْو عَن ابْن أُخْت الْفَارِسِي، وَلم يَأْخُذ عَن غَيره؛ لِأَنَّهُ لم يخرج عَن بَلَده، وَكَانَ من كبار أَئِمَّة الْعَرَبِيَّة وَالْبَيَان، شافعيًا، أشعريًا. صنّف الْمُغنِي فِي شرح الْإِيضَاح، المقتصد فِي شَرحه، إعجاز الْقُرْآن الْكَبِير وَالصَّغِير، الْجمل، العوامل الْمِائَة، الْعُمْدَة فِي التصريف، وَغير ذَلِك.

11) **عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشّيرازي**، البَيْضاوي، (000 - 685 هـ) أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدّين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها.

12) **الماوردي** توفى سنة 450 هجرية، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب، أقضي قضاة عصره، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل الى بغداد وكان يميل إلى مذهب الاعتزال نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد، من كتبه "أدب الدّنيا والدّين، "الأحكام السّلطانية و" الحاوي " في فقه الشّافعية وغيرها.

13) **محمد الطاهر بن عاشور**: ابن عاشور (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، وغيرها.

14) **محمد علي الصابوني**: ولد بمدينة حلب الشهباء بسوريا عام 1930م، من أسره عريقة، وكان والده من كبار علماء حلب، تلقى الشيخ الصابوني تعليمه على يد والده وغيره من العلماء فقام بدراسة العربية والفرائض وعلوم الدين، كما حفظ القرآن الكريم، بعد أن حصل الصابوني على درجة العالمية من الأزهر الشريف عاد مرة أخرى إلى سوريا تفرغ بعد ذلك الشيخ الصابوني للتأليف والبحث العلمي فقام بتأليف العديد من

الكتب في عدد من العلوم الشرعية والعربية، وقد تم ترجمة مؤلفاته لعدد من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية، نذكر من هذه المؤلفات ما يلي: صفوة التفاسير، مختصر تفسير ابن كثير، التفسير الواضح الميسر، وغيرها.

15) **محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي**: الآلُوسي الكَبير (1217 - 1270 هـ = 1802 - 1854 م) شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة 1262 هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب 21 شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر الى أن توفي. من كتبه (روح المعاني – ط) في التفسير، وغيره

16) **مقاتل بن سليمان البلخي**، صاحب التفسير. روى عن الضحاك بن مزاحم وعطاء وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ).

17) **النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف**، من بني عبد الدّار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة " وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النّبي صلّى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلّى الله عليه وسلم كثيرا، توفي 2هـ.